

كتب قداسة البابا شنودة الثالث



www.st-mgalx.com

البابا شنودة الثالث

الحزبة الروحية

والخادم الروحي

"الجزء الثالث"



الكتاب سنوود الثالث

الكنيسة الروحية

والخادم الروحي

“الجزء الثالث”

The Spiritual Ministry
& The Spiritual Minister
Vol. III

By H. H. Pope Shenouda III

1St. Print

Sep. 1994

Cairo

الطبعة الأولى

سبتمبر ١٩٩٤

القاهرة



عمارة عمارة
البابا شنودة الثالث
بابا الإسكندرية وبطرس الرسول الكرازة المريمية

- الكتاب : الخادم الروحي والخدمة الروحية ج ٣ .
- المؤلف : قداسة البابا المعظم الأنبا شنودة الثالث .
- الناشر : الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذكس .
- الطبعة : الأولى سبتمبر ١٩٩٤ م .
- المطبعة : الأنبا رويس الأوفست العباسية - القاهرة .

مقدمة الكتاب

نتابع معك أيها القارئ العزيز نشر مقالاتنا عن الخدمة الروحية
والخادم الروحي .

وقد حدثناك في الجزء الأول من هذه المجموعة عن :

✧ الخدمة الروحية : ما هي ؟

✧ مركز الله في الخدمة .

✧ التواضع في الخدمة .

✧ مقاييس الخدمة ونجاحها .

✧ الخادم الروحي .

✧ العمل الجواني .

وحدثناك في الجزء الثاني من هذه المجموعة عن :

✧ الخدمة : أهميتها - مجالاتها .

✧ قوة الخدمة .

✧ النمو في الخدمة .

✠ التعب فى الخدمة .

✠ مسحنى لأبشر المساكين .

✠ الذين ليس لهم أحد يذكرهم .

✠ يهين للرب شعباً مستعداً .

✠ تكونون لى شهوداً .

✠ الخادم داخل الأسرة .

وفى هذا الجزء نحدثك عن عشرة موضوعات أخرى ، يمكن أن تقرأها فى فهرست هذا الكتاب .

وكتابنا الرابع فى هذه المجموعة ، سيكون بمشيئة الرب عن (كيف تخدم؟) .

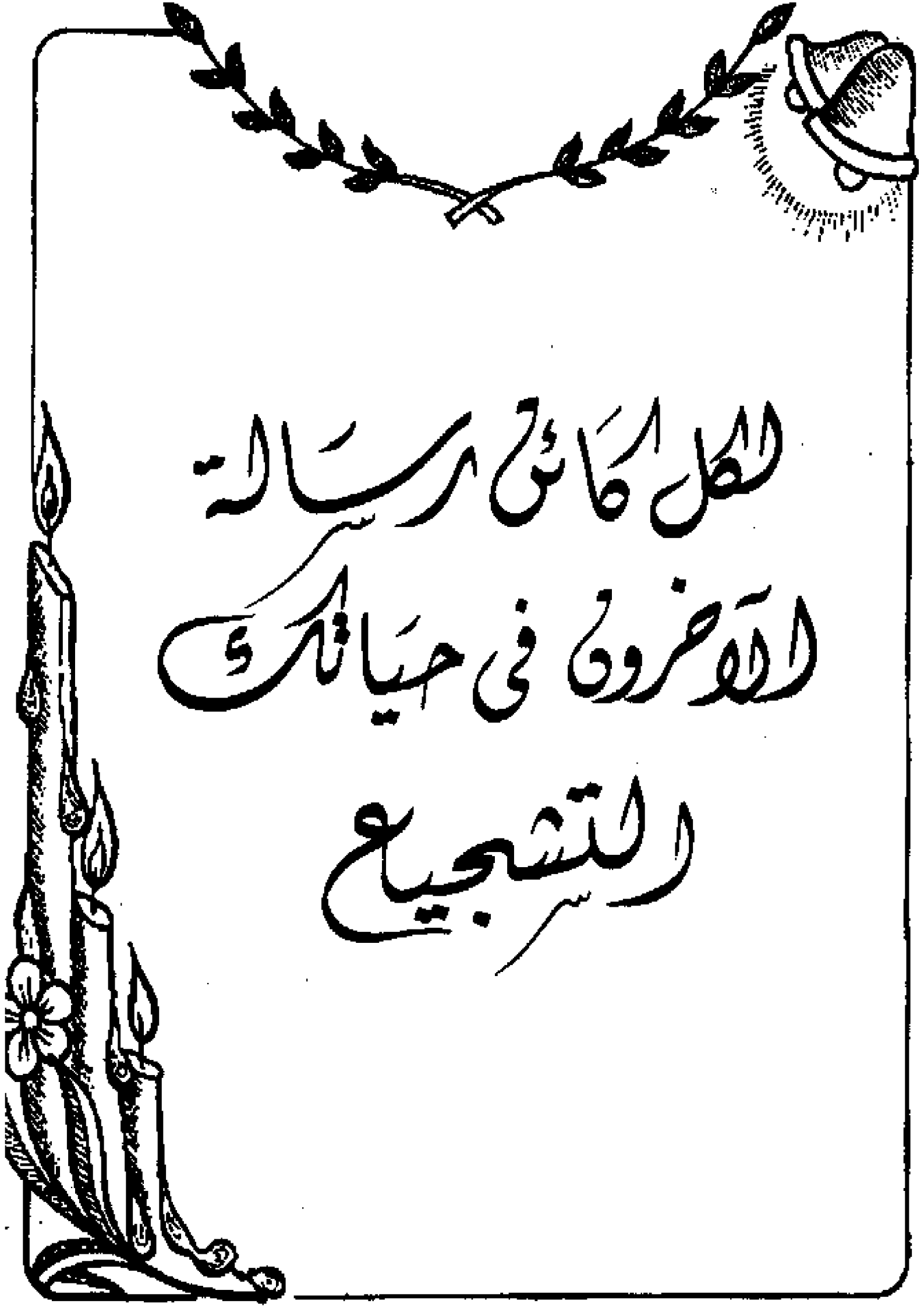
(انظر إعلاناً ص ١٣٢) .

وختاماً نرجو لك نجاحاً فى خدمتك .

وتوفيقاً من الرب فى كل ما تعمله .

البابا شنودة الثالث

للعل كائنات رسالہ
للا عزون في حياثرك
التشجيع



لكل كائن رسالة وعمل

الذى يحيا بلا رسالة ، لا قيمة لحياته .

قيمة حياة الإنسان ، تتبع من قيمة الرسالة التى يقوم بها . إن كان بلا رسالة ، يموت فتنتهى حياته . ولكن تبقى حياة أصحاب الرسائل ، حتى بعد موتهم .

الذى بلا رسالة ، لا يشعر بقيمة الوقت ، فيبحث عن طريقة يقضى بها وقته ، أو يقتل بها وقته ! وما أكثر ما يحاربه السأم والملل والضجر ، وربما القلق والياس . لأن الحياة بلا رسالة لا طعم لها . يحاول أن يجد لها طعماً بالذلة واللهو ، وهذا أيضاً لا يكفى ، وربما لا يجده !

الإنسان الذى بلا رسالة ، يتركز حول ذاته ، ولكن تبدأ رسالته حينما يهتم بالآخرين ، ويعمل خيراً لغيره ...

الكل له رسالة ، حتى الملائكة ، والطبيعة الجامدة .

الملائكة لهم رسالة حب ، نحو الله والناس : نحو الله فى

التسبيح، ونحو الناس في الخدمة " أليسوا جميعاً أرواحاً خادمة ،
مرسلة للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص " (عب ١ : ١٤) .
والشياطين أيضاً لهم رسالة يعملون لها ، ويتعبون لأجلها .
ولكنها رسالة هدامة ضد مشيئة الله ، وضد الحب والنقاوة .
وقد جعل الله رسالة ، حتى لأولاد صغار ، استخدمهم الرب
لتنفيذ مشيئته ، مثل صموئيل ، وداود ، وأرميا ...
والطبيعة لها رسالة ، الشمس والقمر والنجوم تؤدي رسالة
جوهريّة لإنارة الكون ، والهواء له رسالة ، وكذلك الرياح
والأمطار . والأرض ذاتها ، التي نفلحها ، أو نبني عليها .. وباطن
الأرض له رسالة .

لو لم تكن هناك رسالة لكل هذه ، ما خلقها الله .

قاله لا يخلق شيئاً عبثاً ، بدون رسالة وفائدة ...

حياتك لها رسالة ، وستؤدي حساباً على هذه الحياة . وكذلك

كل مواهبك وزنات ، لها رسالة ولها حساب ...

كلما كانت مواهب أكثر ، كلما اتسع نطاق رسالتك :

سواء كانت هذه المواهب ذكاء وعقلاً ، أو فكراً ، أو خيالاً ، أو

فنّاً ، رسماً أو شعراً ، أو أية قدرات أخرى ، تستطيع أن تضمها

جميعاً في يد الله ، وتؤدي بها رسالة لخير العالم والمجتمع الذي

تعيش فيه ...

والإنسان قد تكون له رسالة محددة . أو متسعة ...

الرسالة المحددة قد يحددها نطاق مهنة ، أو نطاق مجتمع ضيق ، أو مكان محدود ، أو زمن محدود .

كان يقول إنسان : رسالتى هى الطب ، أعالج أمراض الناس فى قرية معينة ، طوال حياتى على الأرض ، أو فى فترات عملى ..
إنها رسالة محددة ، ومثلها أية مهنة أخرى ، تؤدي خيراً ، ولكنه خير فى نطاق محدد ، وينتهى ..

ومثله أيضاً أية خدمة إجتماعية ، على نطاق الأسرة ، أو فى محيط العمل ، أو فى مجتمع محدود ...

وهناك أشخاص يسيئون فهم رسالتهم فى الحياة :

كالأم التى تظن أن كل مهمتها ، هى الإهتمام بطعام ابنها ، وملبسه ، وصحته ، وتعليمه ، ورفاهيته .. ولا شئ غير ذلك . كأن روحيات الابن لا وزن لها فى رسالة هذه الأم ! وكأن مصيره الأبدى لا يستحق أن يكون رسالة فى حد ذاته ! ..

ونفس الكلام نقوله عن الأب الذى يشعر أن رسالته نحو أبنائه قد إنتهت على خير وجه ، حينما يتوظف أولاده ، وتتزوج بناته !!
أما المصير الأبدى فليس رسالته !

والبعض للأسف الشديد ، قد تكون له رسالة محطمة .

كبعض الذين يرون رسالتهم فى منح اللذة للناس ، وقد تكون لذة خاطئة ، أو مجرد الترفيه عنهم ، وقد يكون مضيعة لوقتهم إن زاد عن حده ، أو متلفاً إن فسدت وسيلته . وقد يرى أحد أن رسالته هى نوع من الفن ربما يكون فناً رخيصاً ضالاً .

ولكن هناك رسالات أخرى من الله ، رسالات مقدسة .. الله يختار لها من أبنائه من يراهم صالحين لذلك ...

لقد قال الرسول " الذين سبق فعرفهم ، سبق فعينهم " (رو ٨: ٢٩) . ولعلك تقول : ما ذنبى أنا، إذا كان الله لم يخترنى لرسالة هامة ؟ أقول لك : لو كانت لك صلاحية لها لاختارك الله بلا شك .. حقاً إن الفخرانى حرّ فى أن يجعل أنية للكرامة، وأخرى للهوان (رو ٩)، ولكنه حسب نوعية الطينة التى تقع فى يده، يشكلها . إن وجدها طينة ناعمة جيدة تصلح أنية للكرامة، يجعلها كذلك . وإن وجدها طينة رديئة لا تصلح للكرامة . تصير أنية للهوان ...

والله له أسلوبه فى إعداد أصحاب الرسالات :

لقد أعد رسله بالتلمذة على يديه مدى سنوات طويلة، ثم أعدهم بالتدريب العملى حينما أرسلهم إثنين إثنين ، وصحح لهم أخطاءهم (مت ١٠؛ لو ١٠) . وأعدهم أيضاً بقوة الروح القدس، وقال لهم

"لكنكم ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم ، وحينئذ تكونون لي شهوداً " (أع : ١ : ٨) .

ويوسف القديق ، الإبن المدلل لأبيه ، صاحب القميص الملون وصاحب الأحلام ، أعده الرب بالضيق وبالتجارب .

ما كان ممكناً ليوسف المدلل أن يصلح لرسالته الكبيرة ، لذلك سمح الله له أن يلقى في البئر ، وأن يخونه أخوته ويتآمروا عليه ، ويبيع كمعد . وسمح أن يتهم ظلاماً من امرأة فوطيفار ، وأن يلقى في السجن . كل ذلك لإعداده للرسالة ...

وموسى الذى تربى فى قصر فرعون ، فى جو السلطة .

أعده الرب لإحتمال شعب صلب الرقبة ، ينقله من الإمارة إلى الرعى ، من حياة القصر إلى البرية ، فى الإشتاق على الغنم ، حتى يشفق على الشعب العاصى ...

وهكذا كان الله بأنواع وطرق شتى يعد أولاده للرسالات :

وكثيراً ما كان يستخدم أسلوب التشجيع كما فعل مع موسى ، والوعود كما فعل مع يشوع وأرمياء ..

فى كل ما يحيط بك من ضيقات وأحداث ، اعلم أن الله يعدك للقيام برسالتك ، إن عرفت كيف تستخدم الضيقات لخيرك ، لا للتنمر والشكوى .

لقد أعد إبراهيم في حياة الغربة ، وأعد يونان بالعواصف والأمواج وبطن الحوت ، وأعد بطرس باختبار الضعف البشري حتى لا يظن أنه أفضل من باقي التلاميذ ...

بل إن إعداد أصحاب الرسائل الكبيرة ، يسبق أحياناً ولايتهم: أرميا النبي ، قال له الرب " قبلما صورتك في البطن عرفتكَ ، وقبلما خرجت من الرحم قدستك. جعلتك نبياً للشعوب " (أر ١ : ٥) . ويوحنا المعمدان : من بطن أمه امتلأ من الروح القدس (لو ١ : ١٥) وبولس الرسول يقول عن نفسه " لما سر الله الذي أفرزني من بطن أمي ، ودعاني بنعمته .. " (غل ١ : ١٥) .

والرسالات عند الله تتنوع ، ويختار لها أشخاصاً أكفاء ... إن توبيخ آخاب الملك الفاسد ، والتخلص من كل أنبياء البعل ، رسالة تحتاج إلى نبي شديد مثل إيليا ، يقول بضمير مستريح "لتنزل نار من السماء وتحرق الخمسين " (١مل ١ : ١٠ ، ١٢) . وقيادة شعب معاند مقاوم رسالة صعبة ، تحتاج إلى الرجل موسى الذي " كان حليماً جداً ، أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض " (عدد ١٢ : ٣) .

وقد يختار الله من لا مواهب لهم ، ثم يهبهم بنعمته كل ما تحتاج إليه الخدمة من مقدرات ...

قد يختار جهال العالم ، ويخزي بهم الحكماء . ويختار ضعفاء العالم ، ويخزي بهم الأقوياء (١كو١ : ٢٧ ، ٢٨) . ويختار أواني خزفية ضعيفة لتحمل رسالته ، حتى يكون فضل القوة لله وليس لنا كما قال الرسول (٢كو٤ : ٧) .

إن الرسائل في الدنيا عديدة ، ولكن أعظمها هو العمل على خلاص الناس ، وحفظ أرواحهم من الهلاك .

والذين يعملون في هذا الميدان ، " يضيئون كالجلد ، وكالكواكب إلى أبد الدهور (١٢١ : ٣) . وقد قال يعقوب الرسول " من رد خاطئاً عن طريق ضلاله ، ينقذ نفساً من الموت ، ويستر كثرة من الخطايا " (يع ٥ : ٢٠) .

ما أعظم إنقاذ نفس من الموت : فكم بالأولى إن كانت الرسالة هي إنقاذ نفوس عديدة ...

والذين يعملون في هذا المجال ، إنما يعملون مع الله . كما قال بولس الرسول عن نفسه وعن سيلا " فإننا نحن عاملان مع الله " (١كو٣ : ٩) . وقال في موضع آخر " كأن الله يعظ بنا " (٢كو٥ : ٢٠) .. حقاً إنها شركة مع الروح القدس في العمل . وهذه الشركة تعطى هذه الرسالة أهمية وخطورة ...

النفوس التي تعمل في هذا المجال ، هي بلاشك نفوس كبيرة :

إن يوحنا المعمدان ، أعد الطريق أمام المسيح ، فى اقل من سنة واحدة . لقد بدأ عمله وهو فى سن الثلاثين ، وبعد ستة أشهر بدأ المسيح عمله . وكانت معمودية التوبة قد إكتسحت الكل . وفى شهور أعد يوحنا الطريق .

والرسل الإثنا عشر فى سنوات قليلة ، أوصلوا الكرازة بالإنجيل إلى أقصى الأرض ، وإلى أقطار المسكونة بلغت أقوالهم (مز ١٩ : ٤) . وكانت كلمة الرب تنمو وعدد التلاميذ يتكاثر جداً ، وجماهير تنضم إلى الإيمان (أع ٦ : ٧) ، وقد " أتى ملكوت الله بقوة .. " (مر ٩ : ١) .

إن أصحاب الرسائل الكبيرة ، أشخاص جادون فى عملهم .. حياتهم دسمة ، كشجرة ضخمة محملة بالثمار ...

تذكرنى بقول القديس الأنبا انطونيوس عن القديس الأنبا مقاريوس " إن قوة عظيمة تخرج من هاتين اليدين " ...

إن حياة أصحاب الرسائل ، لم تقتصر على جيلهم .

لقد عبروا الزمان ، فلم يستفد جيلهم فقط من رسالتهم ، بل كل الأجيال ، وكان لرسالتهم إمتداد حتى بعد موتهم أيضاً ، واستمر عملهم ...

قديسون كثيرون ، حتى بعد موتهم كلفهم الله برسالة .

الآخرون في حياتك

صدق ذلك الأييب الذى قال :

ما استحق أن يعيش ، من عاش لنفسه فقط .

لذلك فالشخص الروحى ، فى حياته فى المجتمع ، يجد لذته فى أن يحيا لأجل غيره ، متبعاً قول الرب ، " تحب قريبك كنفسك " (مت ٢٢ : ٣٩) . وهكذا يحب كل احد من اعماق قلبه ...

وتكون محبته للآخرين محبة عملية حسبما قال الرسول " لا نحب بالكلام ولا باللسان ، بل بالعمل والحق " (١ يوح ٣ : ١٨) . هذه المحبة تتميز بالعطاء ، وتتميز بالبذل ، سواء من الناحية الجسدية ، أو الناحية الروحية ...

لذلك فإن الشخص الروحى ، هو بطبيعته إنسان خادم . يخدم غيره فى كل مجال ، لا لأنه مطالب بهذا ، وإنما لأن الخدمة جزء من طبيعته ، وجزء من كيانه ، يشعر فيها بالحب ، ويتغذى بها أكثر مما يغذى غيره .

وإذا كانت الخدمة هي من عمل الملائكة (عب ١: ١٤) . فكم
بالأولى البشر ...

والملائكة حينما يخدمون البشر ، إنما يخدمونهم في حب وبذل ،
وليس عن مجرد واجب أو تكليف . أنظروا إلى الساراقيم
المخصصين للتسبيح ، لما سمعوا من أشعياء أنه نجس الشفتين ،
طار واحد منهم بسرعة ، وأخذ جمرة من على المذبح ، وطهر بها
شفتي أشعياء (أش ٦: ٦) .

هوذا السيد المسيح ظهرت محبته للبشر في الخدمة والفداء:
وهكذا ورد عنه في الكتاب " إن ابن الإنسان لم يأت ليعلم ، بل
ليخدم ، ويبذل نفسه فدية عن كثيرين " (مر ١٠: ٤٥) . وكما قال
الرب أيضاً " ليس حب أعظم من هذا ، أن يبذل أحد نفسه عن
أحبائه " (يو ١٥: ١٣) .

ما أجمل أن يكون الإنسان سبب سعادة لكل من حوله :
من هنا كانت المحبة التي تتصف بها الأمومة ، والتي تتصف
بها الأبوة ، كما قال الرب لأورشليم ، كم مرة أردت أن أجمع
أولادك ، كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها " (مت ٢٣: ٣٣) .
"إن نسيت الأم رضيعها ، لا أنساكم" (أش ٤٩: ١٥) . هذا الحب
الذي يسعد الغير ، بالعطاء والبذل ، هو سمة من سمات الروحانيين ،

ولذلك حسناً قال الرب :

"مقبوط هو العطاء أكثر من الأخذ" (أع ٢٠ : ٣٥) . ففي العطاء
محبة للآخرين، أما الأخذ فكثيراً ما يحوى إهتماماً بالذات ...

إن المحبة التى تعطى ، تظهر فيها أعماق قول الرب " كنت
جوعاناً فأطعمتمونى .. " (مت ٢٥ : ٣٥) . وأعماق قول الرسول
"الديانة الطاهرة النقية عند الله الأب هي هذه : إفتقاد اليأس
والأرامل فى ضيقتهم وحفظ الإنسان نفسه بلا دنس" (يع ١ : ٢٧) .
والعطاء الذى ينبع من الحب ، غير العطاء الذى هو مجرد تنفيذ
للوصية، أو هو لكسب المديح أو لأداء الواجب ...

هناك وظائف هي موضع محبة للناس ، لأنها تعنى بهم :

مثال ذلك الطب والتمريض والخدمة الإجتماعية. وهناك أيضاً
الأطباء الروحيون ، آباء الاعتراف الذين يحملون أقال الناس ،
ويخففون من متاعبهم . وقد يوجد شخص لا يقدم لغيره معونة
مادية، ولكنه يقدم أذناً صاغية تستمع فتريحهم ، أو يقدم إبتسامة
طيبة أو كلمة تطيب خاطر ، فيحبونه .

٢٦١) بعكس ذلك، الذين يتركزون حول أنفسهم، نواتهم هي كل شئ.

٢٦٢) ماء أصعب من يقول " أنا أو الطوفان " أو الشاعر الذى قال :

رسولهم من يأتى إذا مت عطشاناً فلا نزل المطر

لم يكن موقفاً روحانياً ، ذلك الذى وقفه يونان حينما إغتاظ
لخلاص أهل نينوى، وغضب لأن كلمته من جهة عقوبتهم، لم تنفذ،
فاعتبر ذلك ضد كرامته !! لذلك عاتبه الله قائلاً له : "هل اغتظت
بالصواب" (يون ٤ : ٤) .

أما موسى النبي ، فقد ضرب مثلاً عالياً فى محبة الآخرين .
وذلك حينما تضرع إلى الرب من أجل الشعب المخطئ قائلاً
"والآن إن غفرت خطيتهم، وإلا فامحني من كتابك الذى كتبت"
(خر ٣٢ : ٣٢) . ويشبه ذلك قول بولس الرسول "فإنى كنت أود لو
أكون أنا نفسى محروماً من المسيح ، لأجل إخوتى إنسيائي حسب
الجسد .." (رو ٩ : ٣) .

فكلا الإثنين فضل أن يحرم هو نفسه من الرب - أى يفقد أبديته
- من أجل إنقاذ الآخرين .. وهذا أمر عجيب ، مثالى فى الحب ،
وإن كان من جهة التنفيذ غير ممكن ...

فلا أقل من جهة الحب - أن تصلى من أجل الآخرين .

ولهذا هناك أناس يجعلون الآخرين عنصراً بارزاً فى صلواتهم.
والكنيسة فى صلواتها الطقسية لا تترك أحداً لا تصلى من أجله ،
بل تصلى حتى من أجل الحيوان والطبيعة .

والسيد الرب أعطانا تعليماً جميلاً فى الصلاة من أجل الآخرين،

حينما وضع لنا الصلاة الربية ، وفيها تكلم الله بأسلوب الجمع - لا بأسلوب الفرد - مدمجين حاجيات الآخرين معنا. وكذلك نصلي قانون الإيمان :

وتعلمنا المسيحية أننا جميعاً أعضاء في جسد واحد ..
إن تألم عضو ، تتألم معه بقية الأعضاء (١كو ١٢ : ٢٦) .
ويقول لنا الرسول " فرحاً مع الفرحين ، وبكاء مع الباكين "
(رو ١٢ : ١٥) .

فماذا فعلنا نحن من أجل الآخرين ، أياً كانوا ؟

إننا نحسب الذين يحبوننا ، ولكن السيد المسيح يقول لنا " إن سلمتم على الذين يسلمون عليكم ، فأى أجر لكم ؟! الخطاة أيضاً يفعلون هكذا " (مت ٥ : ٤٦ ، ٤٧) . إننا علينا واجب حيال الخطاة والمسيئين أيضاً ... حيال من يسخرنا ميلاً . أو من يخاصمنا ويريد أن يأخذ الثوب ، أو من يلعن أو من يسئ ...

الإنسان الروحي لا يبنى راحته على تعب الآخرين . بل يتعب دائماً لكي يريح غيره ، هو شمعة تنوب لكي يستضيئ الناس بها ، الذين يضعهم في قمة اهتمامه ..

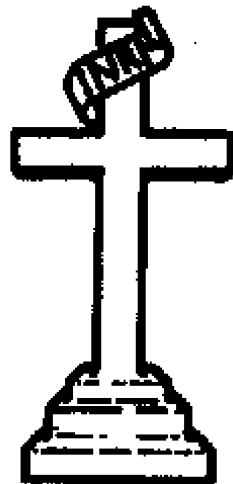
الرجل الروحي يعمل كل جهده لكي يبنى الآخرين .. لا يبحث من فيهم مستحق ، ومن هو غير مستحق إنما يفكر من فيهم محتاج ،

وكيف يبذل كل جهده حتى لا يدع أحداً محتاجاً إلى شيء حين يكون بإمكانه أن يعطيه إياه ...

وتربطه بجميع الناس رابطة قوية من حسن المعاملة . في جو من المجاملة ومن التفاهم ، ومن الروح الواحد ، مراعيًا قول الرسول ، الذي نردده في صلاة باكر " أسألكم أنا الأسير في الرب ، أن تسلكوا كما يليق بالدعوة التي دعيتم إليها ، بكل تواضع القلب ، والوداعة ، وطول الأناة ، محتملين بعضكم بعضاً في المحبة ، مسرعين إلى حفظ وحدانية الروح برباط الصلح الكامل ، لكي تكونوا .. روحاً واحداً " (أف ٤) .

إن الإبن الأكبر ، لم يضع أخاه الراجع في اعتباره ، لم يفرح لفرحه ، ولم يشترك في الوليمة التي صنعت لأجله ، بل ركز اهتمامه في نفسه وما ينبغي أن يعطى له من أبيه .

أما نحن فلننكر نواتنا ، لكي نحب الآخرين ... ونسعدهم .



التشجيع

كثيراً ما كلمتكم عن المنتصرين الغالبين . فى روحياتهم، وفى علاقاتهم مع الله والناس. واليوم أحب أن أكلّمكم عن الضعفاء والساقطين. وما ينبغى أن يقدم إليهم من تشجيع ...

إن التشجيع فضيلة كبرى. وعنها يقول الكتاب: " شجعوا صغار النفوس. اسندوا الضعفاء. تأنوا على الجميع " (١ تس ٥ : ١٤) .
هذه اول مجموعة تحتاج إلى تشجيع : الضعفاء وصغار النفوس:

الضعفاء وصغار النفوس :

صغار النفوس هم الذين أنهارت معنوياتهم من الداخل، وصغرت نفوسهم فى أعينهم ، فأحسوا بالعجز. وقاربوا اليأس .
هؤلاء يحتاجون إلى تشجيع . يحتاجون إلى من يمسك بأيديهم ويقيمهم، لئلا يفشلوا ويضيعوا ...

كذلك الضعيف يحتاج إلى من يسنده . ويقويه .

لأن الذى يحتقر ضعيفاً ويتجنبه ، أو يزدري به ويتهكم عليه ، كإنسان فاشل أو ضائع . إنما يفقده ، ويتركه إلى ضعفه بلا معين ، فينتهى ، ويستمر فى سقوطه أو خطاياہ .. بينما الكتاب يقول :
" من رد خاطئاً عن طريق ضلاله ، يخلص نفساً من الموت ،
ويستر كثرة من الخطايا " (يع ٥ : ٢٠) .

أخوك الضعيف الذى يسقط كل يوم ، حاول أن تتقذه من ضعفه وتقيمه .. حتى إن جاهدت معه ، ورأيت جهادك بلا نتيجة ، ولا يزال هو مستمراً فى ضعفه وسقوطه ، فلا تمل من العمل لأجله ، ولا تطرحه من قدام وجهك ، بل شجعه ليقوم ...

ضع فى ذهنك أن قيامه قد يحتاج منه إلى وقت ، ويحتاج منك إلى طول أناة ...

إن الخطايا التى رسبت فى النفس مدة طويلة ، حتى تحولت إلى عادة أو إلى طبع ، لا تنتظر أن هذا الضعيف سيتخلص منها بسرعة ، مهما كان كلامك له مقنعاً !! لذلك فإن الرسول لا يقول فقط " إسندوا الضعفاء " ، إنما أيضاً " تأنوا على الجميع " .

الذى خضع مثلاً لعادة التدخين . ربما يقتنع تماماً بضررها ، ولكنه مع ذلك قد يعجز عن التخلص منها !! إنه يحتاج أن تسنده

بصلواتك، وبنصائحك وتشجيعك ، وأن تصبر عليه ، ولا تيأس من
خلاصه وتهمله !!

الخطية التى مدت جذورها فى أعماق النفس، وسيطرت على
الشعور والإرادة، قد يضعف الإنسان فى مقاومتها، وبخاصة لو
أشدت عليه حروب الشياطين من الخارج ، مع ميل للخطيئة فى
الداخل، فتضعف المقاومة .. هذا يحتاج منك إلى تشجيع ...

إن كثرة التوبيخ الذى تلقىه على إنسان ضعيف قد يحطمه ..
مثل هذا يحتاج إلى نعمة ، لا إلى لوم، ربما ينطبق عليه قول
الكتاب " الشر الذى لست أريده إياه أفعل .. فلست بعد أفعله أنا، بل
الخطية الساكنة فى " (رو ٧ : ١٩ ، ٢٠) . هذا الإنسان مقيد بأغلال
من العادة والطبع والرغبة والرسول يقول :

" اذكروا المقيدون كأنكم مقيدون معهم . والمذلون كأنكم أيضاً فى
الجسد " (عب ١٣ : ٣) .

حاول أن تشجع هذا المقيد ، وساعده على التخلص من قيوده،
موقناً أننا كلنا تحت الضعف ... وإن ساعدته ، ووجدته مترخياً فى
خلاص نفسه ، أو ذا إرادة ضعيفة يقوم ثم يسقط ، ثم يعاود القيام
والسقوط، فلا تحتقر ضعفه، بل تذكر قول الكتاب :

" قوموا الأيادى المسترخية ، والركب المخلعة " (عب ١٢ : ١٢)

الأيادي المسترخية هي العاجزة عن العمل، والركب المخلعة العاجزة عن القيام وعن الحركة، وكلاهما يعبران بصورة متكاملة عن عجز الإنسان كله ، وعدم قدرته على عمل أى شئ ...

ولعل بولس الرسول قد إقتبس هذه العبارة من قول الوحي الإلهي على فم إشعياء النبي " شددوا الأيادي المرتخية ، والركب المرتعشة ثبتوها " (أش ٣٥ : ٣) . وقد اختبر أيوب الصديق هذا العمل الصالح . فقال له أليفاز التيماني " ها أنت قد أرشدت كثيرين، وشددت أيادي مرتخية . بل إن أعظم مثال هو ما قيل عن ربنا يسوع المسيح :

" قصبة مرضوضة لا يقصف . وفتيلة مدخنة لا يطفئ " (مت ١٢ : ٢٠) .

لأقت هذه الصفة سروراً لدى الله الأب . فقال فيها عنه "مختارى الذى سرت به نفسى .. قصبة مرضوضة لا يقصف . وفتيلة مدخنة لا يطفئ " (أش ٤٢ : ١ ، ٣) . أى أنه لا يقطع رجاء أحد . حتى لو كان قصبة مرضوضة . يربطها ربما تستقيم .

حتى لو كان فتيلة مدخنة . ربما تهب عليها ريح فتشتعل ..

إذن شجع الكل . ولا تثبط همة أحد ، فالكتاب يقول : " لا تسمتى

بى يا عدوتى، فإنى إن سقطت أقوم " (مى ٧ : ٨) .

فما أسهل أن يقوم الإنسان من سقطته . بالإرشاد والتشجيع والصبر . وعمل النعمة فيه، ويتابع ميخا النبي كلامه فيقول " إذا جلست في الظلمة . فالرب نور لى " حقاً إن الكلام الذى يفيض أملاً ورجاءً ، يقوى القلب ، ويشجعه على القيام مهما سقط، ومهما استمر سقوطه، فقال الحكيم فى سفر الأمثال :

" الصديق يسقط سبع مرات ويقوم " (أم ٢٤ : ١٦) ...

فإن وقع الساقط فى اليأس ، ذكره بهذه الآية . واحذر من أن تدبّنه فى سقوطه . " هو لمولاه يثبت أو يسقط. ولكنه سيثبت ، لأن الله قادر أن يثبتّه " (رو ١٤ : ٤) . قل له : حتى إن كنت لا تريد خلاصك، فالله يريد لك الخلاص . وهو قادر أن يخلصك ...

الله الذى " يعطى المعبى قدرة . ولعديم القوة يكثر شدة " (أش ٤٠ : ٢٩) . الذى " جاء يطلب ويخلص ما قد هلك " (لو ١٩ : ١٠) ... معزية جداً هذه العبارة الأخيرة .. إنه لم يقل يخلص من قد ضعف، أو من قد سقط، بل يخلص ما قد هلك! إنه لأمثال هؤلاء الناس قد جاء. ويقول عن رسالته فى سفر أشعياء :

"... مسحنى لأبشر المساكين، أرسلنى لأعصب منكسرى القلب، لأنادى للمسبيين بالعنق، وللمأسورين بالإطلاق " (أش ٦١ : ١) .

نعم لقد جاء المسيح من أجل المساكين ، المنكسرى القلوب ،

المسبيين والمأسورين، جاء يحمل إليهم بشرى طيبة، كلمة تشجيع..
جاء ينادي لهم بالعتق والإطلاق ، بفك أسرهم وسبيهم. بل يقول
أيضاً " لأعزى كل النائحين " لأعطيهم جمالاً عوضاً عن الرماد،
ودهن فرح عوضاً عن النوح، ورداء تسبيح عوضاً عن الروح
اليائسة " (أش ٦١ : ٣) .

نعم ، هذا هو عمله كراع حنون شفوق على رعيته. مهما ضلت
وجرحت وكسرت . إنه يقول :

" أنا أرعى غنمى وأربضها - يقول السيد الرب - واطلب
الضال، واستر المطرود، وأجبر الكسير ، وأعصب الجريح "
(حز ٣٤ : ١٥ ، ١٦) .

احفظ هذه الآية ، وشجع بها الضالين والمطرودين. والمنكسرى
القلوب الذين جرحهم العدو، إنه يجول يبحث عن كل هؤلاء ،
ليردهم إليه ويريحهم. لذلك إن قابلت أحداً منهم، قل له :

لا تخف. أنت لست وحدك. إن الله لن يتركك، سيرسل لك نعمة
خاصة. ويفتقدك .

إن الله يهتم بالضعفاء ، ويبحث عن الساقطين .

لقد كان يجلس مع العشارين والخطاة ، وقال فى ذلك : لم آت لأدعو أبراراً، بل خطاة إلى التوبة " لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب، بل المرضى " (لوقا : ٣١ ، ٣٢) .

فإن كنت من هؤلاء المرضى، الخطاة، الضالين والمطرودين.. إن كنت كسيراً وجريحاً، ثق أنك من الذين جاء المسيح لأجلهم .
" إنه يفرح بخاطئ واحد يتوب، أكثر من تسعة وتسعين باراً لا يحتاجون إلى توبة " (لوقا : ١٥ : ٧) .

ما أجمل ما فعله الرب مع الخاطئة فى أورشليم (حز ١٦) .
وجدها مطروحة بكراهة نفسها، مدوسة بدمها.. فلم يتركها، وإنما قال " بسطت ذيلي عليك، ودخلت معك فى عهد ، فصرت لى .
فحممتك بالماء، وغسلت عنك دماءك، ومسحتك بالزيت.. وحليتك بالحلى.. وضعت تاج جمال على رأسك.. وجملت جداً جداً،
فصلحت لمملكة " (حز ١٦ : ٦ - ١٤) .

هذا هو أسلوب الله : يشجع الخطاة على طريق التوبة، ويقويهم ويعددهم بوعود جميلة فيقول :

" أرش عليكم ماء طاهراً . فتطهرون من كل نجاساتكم..

وأعطيتكم قلباً جديداً . وأجعل روحاً جديدة فى داخلكم .. وأنزع
قلب الحجر من لحمكم، وأعطيتكم قلب لحم . وأجعل روحى فى
داخلكم، وأجعلكم تسلكون فى فرائضى وتحفظون أحكامى (حز ٣٦ :
٢٥ - ٢٧) .

تشجع إذن . إن خلاصك ليس هو عملك أنت وحدك ، إنما
بالأكثر عمل الله فىك . لدرجة أن الرسول يقول "إن كنا غير أمناء .
فهو يبقى أميناً . لن يقدر أن ينكر نفسه " (٢تى ٢ : ١٣) .

إن الرب الذى اختار المجدلية ، وكان عليها سبعة شياطين
(مر ١٦ : ٩) ، وجعلها من خاصته ، وظهر لها بعد القيامة . وكلفها
بأن تبشر الرسل (مت ٢٨ : ١٠) ، هو قادر أن يخلصك مثلها .
هو الذى أختار متى العشار ، ليكون أحد الإثنى عشر واشفق
على زكا، ودخل بيته وقال " اليوم حصل خلاص لهذا البيت "
(لو ١٩ : ٩) . ولما طرح عليه موضوع قلع الشجرة غير المثمرة،
قال : "أتركها هذه السنة أيضاً " (لو ١٣ : ٨) . أى أعطها فرصة
أخرى " حتى أنقب حولها وأضع زبلاً فإن صنعت ثمراً ، وإلا فقيما
بعد تقطعها" . إنه لا يشجع فقط، وإنما أيضاً يقف على الباب ويقرع
(رو ٣ : ٢٠) .

إنه يشجع الضعفاء والخطاة ، وحتى اليائسين :

من أبرز المواقف لليائسين ، تشجيع موسى النبي للشعب، الذى وجد نفسه محصوراً ما بين البحر الأحمر، ومركبات فرعون الستمائة التى تسعى وراءه .. وهوذا الموت ينتظره لا محالة . وهنا يقول موسى النبي: "قفوا وانظروا خلاص الرب، الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون " (خر ١٤: ١٣، ١٤) .

ونفس الوضع بالنسبة إلى داود النبي فى المزمور الثالث حيث يقول "يا رب لماذا كثر الذين يحزنوننى: كثيرون يقولون لنفسى ليس له خلاص بإلهه" . ولكن حالاً يتكلم الروح فى قلبه مشجعاً فيقول "أنت يا رب هو نامسرى ، مجدى ورافع رأسى . بصوتى إلى الرب صرخت، فاستجاب لى من جبل قدسه " (مز ٢٣) .

كذلك ما أجمل مزمور " يستجيب لك الرب فى يوم شدتك " (مز ١٩: ٢٠) .

كله تشجيع .. لقد نشرت لكم كتاباً عن التأملات فى هذا المزمور المملوء رجاء وتشجيعاً .. اقرأ أيضاً مزمور "لولا أن الرب كان معنا" (مز ٢٣) الذى يقول فيه المرنم "تجت أنفسنا مثل العصفور من فخ الصيادين . الفخ أنكسر ونحن نجونا.. "

كل المزمور عبارات مشجعة . وما أكثر المزامير التي من هذا النوع ... حتى الذين يسوا لطول المدة ، أعطاهم الرب تشجيعاً ورجاء في مجيئه حتى في الهزيع الرابع من الليل لإنقاذ التلاميذ (مت ١٤ : ٢٥) .

الخائفين :

كثيرون كانوا يقفون خائفين . حتى في مجال دعوتهم للخدمة فلم يرفضهم لخوفهم وضعفهم . وإنما كان يشجعهم ويعدهم ، ويثبت دعوتهم لهم . ومن أمثلة ذلك :

موسى النبي ، خاف لأنه ثقیل الفم واللسان .

لقد خاف من لقاء فرعون ، كيف يكلمه ؟ وكيف يجيب عن أسئلته واستئلة الشعب . وقال للرب "لست أنا صاحب كلام، منذ أمس ولا أول من أمس، ولا من حين كلمت عبدك. بل أنا ثقیل الفم واللسان" (خر ٤ : ١٠) . "ها أنا أغلف الشفتين فكيف يسمع لى فرعون ؟!" (خر ٦ : ٣٠) .

ولكن الرب شجعه ، ومنحه أخاه هرون معيناً له، وقال له "تكلمه ، وتضع الكلمات فى فمه . وأنا أكون مع فمك ومع فمه .

وأعلمكما ماذا تصنعان.. وهو يكلم الشعب عنك وهو يكون لك فما
(خر ٤: ١٧) .

أرميا أيضاً خاف وقال "لا أعرف أن أتكلم لأنى ولد" (أر ١:
٦) .

ولكن الرب شجعه وقال له " لا تقل إنى ولد، لأنك إلى كل من
أرسلك إليه تذهب.. لا تخف من وجوههم لأنى أنا معك، لأنقذك"
"ها قد جعلت كلامى فى فمك، أنظر قد وكلتك اليوم على الشعوب
وعلى الممالك .." (أر ١: ٧ - ١٠) .

بل أكثر من هذا، رفع معنوياته جداً وقال له "هأنذا قد جعلتك
اليوم مدينة حصينة، وعمود حديد وأسوار نحاس على الأرض
كلها.. فيحاربونك. ولا يقدرّون عليك ، لأنى أنا معك - يقول الرب
- لأنقذك " (أر ١: ١٨ ، ١٩) .

يشوع أيضاً كان خائفاً بعد الفراغ العظيم الذى تركه موسى
النبي بوفاته .

ولكن الرب شجعه ، وقال له " تشدد وتشجع " لا يقف إنسان
فى وجهك كل أيام حياتك. كما كنت مع موسى أكون معك. لا
أهملك ولا أتركك.. أما أمرتك؟ تشدد وتشجع . لا ترهب ولا
ترتعب ، لأن الرب إلهك معك حيثما تذهب " (يش ١: ٥ - ٩) .

وهكذا شجع الرب يعقوب ، وهو خائف من ملاقاته عيسو ...
لذلك قواه ، ومنحه المواعيد وظهر له ، وأعطاه فرصة أن
يجاهد معه ويغلب (تك ٣٢ : ٢٨) . وكان في أول هروب قد ظهر
له . أيضاً رؤيا السلم والملائكة وقال له " ها أنا معك . واحفظك
حيثما تذهب ، وأردك إلى هذه الأرض " (تك ٢٨ : ١٥) .
أسلوب التشجيع عند إلهنا ، هو أسلوب ثابت .
إنه لم يشجع فقط الضعفاء والمأسورين . والخطاة والخائفين
واليانسين ، وإنما أيضاً :

أصحاب القليل :

كما نصلى في أوشية القرايين ونقول "أصحاب الكثير وأصحاب
القليل ، الخفيات والظاهرات" وقد تعلمنا هذا الدرس من الرب نفسه .
لقد طوب الأرملة التي دفعت الفلسين . وقال عنها إنها "ألفت
أكثر من جميع الذين القوا في الخزانة " وأن " الجميع من فضلتهم
ألقوا ، وأما هذه فمن أعوازاها ، ألفت كل ما عندها ، كل معيشتها "
(مر ١٢ : ٤٣ ، ٤٤) .

وشجع اللص اليمين الذي جاءه في آخر ساعة من حياته ، لم
يوبخ تأخيرته في التوبة ، ولا كل حياته القديمة الشريرة ، وإنما قال

له فى محبة : "اليوم تكون معى فى الفردوس " (لوقا ٢٣ : ٤٣) .
وقال الآباء ان العنقود وان كانت فيه حبة واحدة. ففيه بركة .
يكفى أن عصارة الكرمة (سلافها) لازالت تسرى فيه. وعن هذه
قال أشعيا النبي "كما أن السلاف يوجد فى العنقود، فيقول قائل: لا
تهلكه، لأن فيه بركة، هكذا افعل لأجل عبيدى، حتى لا أهلك الكل"
(أش ٦٥ : ٨) .

كم من الصغار قبلهم الرب ، وقبل عطايهم .

قبل التسبيح من أطفال بيت لحم ، وقال " إن سكت هؤلاء
فالحجارة تنطق " (لوقا ١٩ : ٤) . وهكذا دافع عنهم، وقال " دعوا
الأولاد يأتون إلى ولا تمنعهم . لأن لمثل هؤلاء ملكوت السموات"
(مر ١٩ : ١٤) . وتقبل من طفل خمس خبزات وسمكتين، وصنع
بهذه العطية البسيطة معجزة عظيمة (يو ٦ : ٩ - ١٤) .

ومن تشجيع الرب اشفاقه على أصحاب الأمور المستعصية :

الأمور المستعصية :

مثل معجزات الشفاء للأمراض عديمة العلاج . كمنحه البصر
للمولود أعمى (يو ٩) . وشفاء مريض بيت حسدا الذى قضى ٣٨

سنة مطروحاً إلى جوار البركة (يو ٥) . وصاحب اليد اليابسة
(مت ١٢ : ١٠ ، ١٣) ونازفة الدم (مت ٩ : ٢٠ ، ٢٢) . وكافة البرص
والعميان والمفلوجين .

ويقول القديس متى الرسول عنه في ذلك " فأحضروا إليهم جميع
السقام المصابين بأمراض وأوجاع مختلفة . والمجانين
والمصروعين ، والمفلوجين ، فشفاهم " (مت ٤ : ٢٤) ... يضاف إلى
كل هذا معجزات إقامة الموتى . وهكذا شجع المرضى إنه لا يأس
ولا مستحيل .

وكذلك ما فعله الرب في حالات مستعصية مثل إلقاء دانيال في
جب الأسود (دا ٦) . وإلقاء الثلاث فتية في أتون النار (دا ٣) .
وخلصه العجيب في مناسبات عديدة .. ما يفتح باب الأمل
والرجاء أمام كل أحد .

وفي الكلام عن التشجيع ، نذكر أيضاً الوعود الإلهية :

الوعود الإلهية :

كلها رجاء وتشجيع . تقوى المعنويات وتبعث الأمل ، كقوله :
" ها أنا معكم كل الأيام وإلى إنقضاء الدهر " (مت ٢٨ : ٢٠) .
وكقوله أيضاً " هوذا على كفى نقشتك " (أش ٤٩ : ١٦) .

" أما أنتم فحتى شعور رؤوسكم محصاة " (مت ١٠ : ٣٠) .
"شعرة واحدة من رؤوسكم لا تسقط" (لوقا ٢١ : ١٨) . وقوله " لستم
أنتم المتكلمين ، بل روح أبيكم الذى يتكلم فيكم " (مت ١٠ : ٢٠) .
وما أجمل مواعيد الرب فى سفر المزامير ، وهى كثيرة .
لبيتنا من كل ما ذكرناه من أمثلة نتعود كيف نشجع الكل، مهما
كانت حالتهم، ونمنحهم رجاء يشبتون به، وتقوى عزائمهم
وإرادتهم. وبهذا ننقذ نفوساً من اليأس والضياع .



راج النفوس حکیم



ربح النفوس حكيم

ربح النفوس :

أهم رسالة لنا فى الحياة هى ربح النفوس . نربحها من حيث علاقتنا الطيبة بها . نربحها قبل كل شئ لله ، فتصير له . ولعل هذا هو ما قصده الرب ، حينما قال لبطرس وإندراوس "هلما ورائى فأجعلكما صيادى الناس " (مت ٤ : ١٩) . وهى نفس الرسالة التى عهد بها لتلاميذه ، حينما قال لهم " وتكونون لى شهوداً.. " (أع ١ : ٨) .

والله هو أول رابح للنفوس .

ربحهم بالحب ، بالسعى إلى خلاصهم ، وإلى رد الضال منهم . وإصحاح ١٥ من لوقا يعطينا ثلاثة أمثلة عن ذلك : الخروف الضال ، والإبن الضال ، والدرهم المفقود ... ومن أجل هذا ، نقول عن الرب فى ختام كل صلاة بالإيجابية :

الذى لا يشاء موت الخاطئ ، مثلما يرجع ويحيا . الداعى الكل إلى الخلاص ، من أجل الموعد بالخيرات المنتظرة .

الله ، من أجل ربح النفوس لملكوته ، أرسل الأنبياء والرسل لهدايتهم وقيادتهم إلى التوبة . وعين الرعاية ، وأقام الخدام ورجال الكهنوت ، لكيما يعدوا لسرب شعباً مبرراً ، كما كان يوحنا المعمدان: الملاك الذى يهيئ الطريق أمامه .

وقد أعطانا السيد المسيح مثلاً عملياً لربح النفوس .

وهكذا قيل عنه إن الكل قد سار وراءه (يو ١٢ : ١٩) . عندما دخل أورشليم ، ارتجت المدينة لقدومه . وعندما كان يدخل البيوت كانت تزدحم حتى لا يوجد موضع لقدم . وفى قصة شفاء المفلوج : بسبب الزحام لم يستطع أصحاب المفلوج أن يدخلوه ، فنقبوا سقف البيت وأنزلوه (مر ٢ : ٤) . وفى معجزة الخمس خبزات والسمكتين، كان عدد الرجال - غير النساء والأطفال - خمسة آلاف .

ومن الأمثلة الرائعة لربح النفوس ، القديس بولس الرسول : ذلك الذى قال " فإنى إذا كنت حراً من الجميع ، استعبدت نفسى للجميع ، لأربح الكثيرين . فصرت لليهودى كيهودى، لأربح اليهود، للذين تحت الناموس كأنى تحت الناموس ، لأربح الذين تحت الناموس .. صرت للضعفاء كضعيف، لأربح الضعفاء.

صرت لكل كل شئ، لأخلص على كل حال قوماً " (١كو٩: ١٩-٢٢) .

صياد حكيم يلقي شبابه ، ولا بد أن يرجع بها مملوءة ...

وهكذا كان السيد المسيح ، الذى قيل عنه أنه كان يجول يصنع خيراً (أع: ١٠: ٣٨) . كان يربح الناس بأنواع وطرق شتى : بالتعليم والكراسة ، بالشفاء ، بالعطف ، بالحب ، بالتأثير الشخصى ، بكل نوع وأنت كيف تراك ستربح النفوس ؟

تربح الناس بالحب :

أول وسيلة تربح بها الناس ، هى الحب . إن لم تحب الناس ، وإن لم يحبوك ، لا تستطيع أن تقودهم إلى الله . لأن الناس يميلون إلى سماع من يحبونهم .

والشخص الذى ينفر منك ، تكون خسرتَه فى علاقتك معه . وأيضاً لا يمكن أن تجذبه إلى الله . لن يسمع منك بينما الذى تحبه ، قد يحب الله بسببك وتقدم له الله بالحب .

ومن مظاهر محبتك للناس ، أن تحتلمهم .

كل إنسان فى الدنيا له أخطاؤه وله ضعفاته ، وإن ظلت ترقب

أخطاء الناس وتحاسبهم عليها ، تكون النتيجة أنك تخسر الناس وأن
يخسروك ... احتمل الناس إذن .

إنسان تحتل أخطاءه ، وآخر تحتل ثروته . وثالث تحتل
جهله ، ورابع تحتل ضعفه ، وخامس تحتل أعصابه .. إلخ .

وكرمز لطول بال الكاهن واحتماله ، تكون ملابسه واسعة
فضفاضة. رمزاً لسعة الصدر . لأن الذي يكون ضيق الصدر ،
يخسر الناس . تذكر أن السيد المسيح قد حمل جميع خطايا العالم
كله ...

من أمثلة احتمال الله للناس ، أنه يوجد ملايين من الملحدين
يتكرون وجود الله ، أو يجدفون عليه ، والله يحتملهم بدون
عقوبة .

ما أسهل أن يبيد الله كل هؤلاء ، ولكنه ساكت ، يحتمل . ربما
لا يخلص هذا الجيل ، ويدرك الخلاص الجيل التالي ، وهكذا يحتمل
الله الذين يستهزئون بالدين والتدين .

احتمل الناس بالمحبة ، فتكسبهم ، فإن المحبة لا تسقط أبداً
(اكو ١٢ : ٨) . وتذكر قول الكتاب :

" إن جاع عدوك فاطعمه ، وإن عطش فاسقه " (رو ١٢ : ٢٠) .
إن عاملك إنسان معاملة رديئة ، واحتملته في لطف ، فإنك

بإحتمالك له - كما يقول الكتاب - "تجمع جمر نار على رأسه"
(رو ١٢ : ٢٠) . ولاشك أن ضميره سيوبخه من جهتك . مثلما قال
إنسان لشخص إحتمله " أنت تقتلنى بنبلك هذا، تحطمنى بأدبك " .
كان يرى إنسانه العتيق يتحطم ...

ما أسهل ان تغلب الناس بالنبل مثلما قال الكتاب " لا يغلبنك
الشر . بل اغلب الشر بالخير " (رو ١٢ : ٢١) .

جرب مثلاً أن يسئ إليك إنسان فتكون أول من يسعى لإتقاذه
حينما يقع فى مشكلة .. جرب الأدب الجم فى الرد على إنسان
متسبب فى ألفاظه لاشك أنه يحتقر نفسه ويحترمك ...

أما إن أردت أن تأخذ حقاك من الناس بالقوة ، فسوف تخسر
الناس ، وتخسر حقاك وتخسر الله ، وتخسر أبديتك ..
وكما تربح الناس بالحب والإحتمال والمعاملة الطيبة ، اربحهم
بالحكمة .

اربح الناس بالحكمة :

السيد المسيح يهمة أن نكون حكماء حتى أنه مدح وكيل الظلم ،
لأنه بحكمة صنع (لو ١٦ : ٨) . مدح الحكمة التى فيه ، وليس الظلم .

ويقول الكتاب " الحكيم عيناه فى رأسه، أما الجاهل فيسلك فى الظلام " (جا ٢ : ١٤).

ولأن الشمامسة يعملون أيضاً فى ربح النفوس ، اشترط الآباء الرسل - فى إختيار الشمامسة السبعة - أن يكونوا مملوئين من الروح القدس والحكمة " (أع ٦ : ٣) .

كان يمكن الإكتفاء بشرط الإمتلاء من الروح القدس ، على إعتبار أنه روح الحكمة والمشورة والفهم (أش ١١ : ٢) ولكنهم شددوا على صفة الحكمة هذه .

قال بولس الرسول : " إننا نتكلم بحكمة بين الكاملين . ولكنها حكمة ليست من هذا الدهر " (١كو ٢ : ٦) .

وقد تحدث القديس يعقوب الرسول باستفاضة عن الحكمة النازلة من فوق (يع ٣ : ١٣ - ١٧) .

إنها حكمة تصلح لربح النفوس ، لأنها طاهرة مسالمة مترفقة مذعنة ، مملوءة رحمة وأثماراً صالحة ... وقال " من هو حكيم وعالم بينكم ، فليبر أعماله بالتصرف الحسن فى وداعة الحكمة " .
أما الحكمة العالمية فنسميها أحياناً بالدهاء والخبث إذ تحوى تدابير شريرة .

وكم من أشخاص فكروا أن يربحوا الناس بالخداع والكذب ،

وبالإتحراف ، وبأن يكونوا ذوى وجهين ، وذوى لسانين ، وبارعين
فى سبك الخطط !! وفى سبل الإغراء والتشويق . أما أنتم فلا تكن
لكم هذه الحكمة ، بل الحكمة الروحية النازلة من فوق ...

أبيجايل امرأة نابال الكرملى ، استطاعت بالحكمة أن تربح
داود النبى وتمنعه عن الإنتقام من زوجها وعن إرتكاب القتل
(اصم ٢٥) .

واعجب داود بأسلوبها الحكيم الذى يمتزج فيه الإلتضاع ،
بالتوبيخ الهادئ المشبع بالمديح ؟

وقال لها " مبارك الرب الذى أرسلك اليوم لاستقبالى . ومبارك
عقلك . ومباركة أنت ، لأنك منعتنى عن إتيان الدماء " . وكانت لما
مات زوجها ، أن تزوجها داود ، الذى قبل منها التوبيخ دون أن
يغضب ...

الإنسان الحكيم يعرف متى يتكلم ، وكيف يتكلم ؟ ومتى
يصمت ، وكيف يتصرف ؟

ويعرف المداخل التى يدخل بها إلى نفوس الناس ، وكيف يقول
لهم ما يمكنهم قبوله ، وكيف ينصحهم بما يمكنهم عمله وكيف
يدرجهم فى الوصول إلى الفضيلة بل وإلى الكمال .. ولذلك اتصف
أباؤنا القديسون بالإقراز .

الرجل الحكيم يزيد عدد اصدقائه .

أما الجاهل فيخسر أعز أحبائه ...

الحكيم يعرف كيف يكسب الناس . والذين قد كسبهم ، يعرف
كيف يحتفظ بهم أيضاً ...

والمرأة الحكيمة لا تخسر زوجها ، ولا تخسر أقارب زوجها
أيضاً : أمه وأخوته .. وحيث توجد الحكمة، يمكن أن تحل كل
المشاكل الزوجية ، وكل الخلافات العائلية .. وبالحكمة كل فريق
يربح الآخر .. قال القديس يوحنا ذهبي الفم :

" هناك طريقة تتخلص بها من عدوك وهي أن تحول العدو إلى
صديق .

طبعاً ، لا نستطيع أن ننكر أن هناك أشخاصاً ليس من السهل
كسب صداقتهم . ويكون السبب راجعاً إليهم هم . مثلما حدث للسيد
المسيح نفسه مع الكهنة والفريسيين والصدوقيين ورؤساء الكهنة
وشيوخ الشعب . ولو أن عدداً كبيراً منهم قد آمن فيما بعد .

ولأن كسب جميع الناس ليس سهلاً لذلك قال الرسول : "إن كان
ممكناً، فحسب طاقتكم سالموا جميع الناس" (رو ١٢ : ١٨) .

لذلك فإن ربح الناس قد يحتاج إلى صبر وإلى احتمال، وقد
يحتاج إلى وقت .

وهو لا يأتى بالإلحاح الكثير وبالإسراع .. فربما الإلحاح والإسراع بأتیان بنتيجة عكسية ، لأنهما ربما يتعبان أعصاب ونفسية الشخص الذى تريد كسبه ، أو تريد مصالحته . وربما يسببان له العناد .. أو أنه يشعر بإصرارك فيتثاقل ويعتز ويفرض شروطاً وحلولاً صعبة !...

بالحكمة فى التصرف ، يمكن أن تكسب الناس فى العلاقات الإجتماعية وفى الروحانيات أيضاً ...

أليس من المخجل أن كثيرين من أهل العالم ، يكونون حكماء ويكسبون الناس بينما أولاد الله يفشلون فيما نجح فيه أولئك ؟ مشكلة تقابل إنساناً ، فيرتبك لها ، أو يتصرف فيخطئ . ونفس المشكلة تقابل شخصاً آخر ، فيحلها بمنتهى السهولة .. إنها الحكمة .. ولكن ليست الحكمة أن تربح الناس على حساب المبادئ والروحانيات، أو تربحهم وتخسر الله .

تربح النفوس لله :

العاملون فى هذه الخدمة ، سماهم الرب " صيادى الناس " . ولا بد أن تكون لهم حكمة الصياد الذى يعرف طباع السمك، وطبيعة المياه . والذى يعرف كيف يلقي شباكه فى العمق .

حكمة إنسان اختبر الطريق الروحي وسار فيه ، وعرف حروبه ومطالبته .. لهذا يعرف نوعية الكلام الذى يقدمه للناس .

١ - من هذه الحكمة أنه لا يقدم للناس روحيات فوق مستواهم ، لكى لا ييأسوا أو يفشلوا من أول الطريق .

هذه المشكلة عرضها السيد المسيح فى توبيخه للكتبة والفريسيين فقال إنهم " يحزمون أحمالاً عسرة الحمل ، ويضعونها على أكتاف الناس " (مت ٢٣ : ٤) .

كثير من الخدام لهم مثاليات معينة ويريدون أن كل احد يسير فى هذه المثاليات ، ومن أول خطوة ١١.

وإلا فإنهم يرفضونه وينتقدونه ويقولون إنه لا يصلح للطريق الروحي . بينما السيد المسيح لم يقل هكذا ، بل إنه تدرج حتى مع تلاميذه ، وقال لهم " عندى كلام لأقوله لكم ، ولكنكم لا تستطيعون أن تحتملوا الآن " (يو ١٦ : ١٢) . وتلميذه بولس الرسول تعلم هذه القاعدة فقال :

" سقيتكم لبناً لا طعاماً ، لأنكم لم تكونوا بعد تستطيعون " (١كو ٣ : ٢) .

والرسل الإثنا عشر - فى مجمع أورشليم - راعوا نفس القاعدة فأروا أنه " لا يتقل على الأمم الراجعين إلى الله . بل يرسل إليهم

أن يمتنعوا عن نجاسات الأصنام ، والزنا ، والمخنوق ، والدم
(أع ١٥ : ١٩ ، ٢٠) . فلا يوضع على أعناقهم نير " لم يستطع آباؤنا
ولا نحن أن نحمله " (أع ١٥ : ١٠) .

ولكن ليس معنى التدرج ، أن نتساهل في وصايا الله ! كلا، بل
ندرب الناس عليها بالتدرج ، إلى أن يصلوا ..

ذلك أن بعض الخدام يغلقون أبواب الملكوت أمام الناس ،
بتصعيب الطريق فلا هم يدخلون ، ولا يجعلون الداخلين يدخلون
(مت ٢٣ : ١٣) .. والبعض الآخر يتساهلون إلى الدرجة التي يفقد
فيها المخدم روحياته ، ويفقد جدية الحياة الروحية أيضاً ... !

٢ - ومن الحكمة أن الخدام لا يقودون الناس في مناهج
روحية متناقضة ..

كأن يتوب إنسان ، فيقوده البعض إلى حياة الندم والإنسحاق
والدموع، بينما يشده البعض الآخر إل حياة الفرح بالرب "وبهجة
الخلاص" ويشجعه فريق على الخدمة وعلى التحدث بكم صنع
الرب به . بينما يقوده آخرون إلى الشعور بعدم الإستحقاق ، وعدم
الإسراع إلى الخدمة ، حتى تستوفى التوبة حقها من مشاعر الخزي
على الخطية ...

وهكذا يرتبك المسكين بين مشورات متناقضة ، ولا يدري أين

يسلك !

ويزيد الأمر تعقيداً أن كل فريق يشرح له أن الفريق الآخر مخطئ ، وإن سلك وراءه سيضيع! وهنا تظهر الذات فى الخدمة . ويتنافس الخدام بغير حكمة فى إختطاف المخدمين من بعضهم البعض .

٣ - كذلك ليس حسناً أن يقحم خادم نفسه فى خصوصيات إنسان ، ويتطوع لإرشاده ، بدون معرفة بظروفه وداخلياته ونوع نفسيته .

لذلك فإن الكنيسة وضعت هذا الإرشاد تحت مسؤولية أب الاعتراف الذى يعرف نفسية وظروف المعترف ، ويستطيع أن يقدم له العلاج الذى يناسب حالته . وفى نفس الوقت يقوده فى منهج واحد لا تتأقض فيه ، يوافق مستواه الروحى .

رابع النفوس الحكيم يعرف متى يقدم التوبيخ على الخطية ، ومتى يفتح باب الرجاء بلا توبيخ ، حسبما ينفع النفس .

فالشخص الغارق فى تبكيت نفسه اليأس من خلاصه ، فهذا نقدم له الرجاء . أما الذى لا يشعر بجسامة الخطية ، وينظر إليها ببساطة ممتزجة باللامبالاة ، فإننا نوبخه بشدة لكى يستيقظ إلى نفسه ويعرف أن الخطية خاطئة جداً ، وأجرتها الموت .

٤- والخادم الحكيم لا يحاول أن يجعل من يخدمهم صورة منه
فلا يقود الناس إلى الوحدة ، والصمت ، إن كان هو يحب ذلك .
فربما له تلميذ إجتماعى لا تناسبه الوحدة .

وبالعكس لا يقود مخدميه كلهم إلى الخدمة التى تستغرق كل
الوقت والجهد إن كان هو يحب ذلك ، فربما له تلميذ يحب حياة
الصلاة والتأمل والهدوء .

لا يجوز له أن يطبعهم بطابعه ، فكل إنسان له نفسيته الخاصة ،
وله ما ينسابه ...

وكل إنسان له ظروفه الخاصة ، وله درجة معينة فى
الروحانية، ربما لا يوافقها المنهج الذى يسير عليه الخادم .

وظيفة الخادم إذن أن يرشد إلى الحق مجرداً . ويترك التفاصيل
إلى ما يناسب نوعية النفس ، وإلى إرشاد أب الاعتراف .

بعض الخدام إذا تحمسوا لشيء ، يريدون أن يتحمس له كل أحد،
مهما كانت حالته !

فمثلاً واحد منهم متحمس لإصلاح معين ، وثائر فى داخله ،
يريد أن يكون الجميع ثائرين مثله ! وقد تضرهم هذه الثورة ، وقد
يخطئون فيها ، وقد لا تكون حكيمة ...

أو شخص يحب الرهينة ، فيدعو الكل إليها وقد لا تناسبهم .

٥ - رابح النفوس الحكيم ، ينبغي أن يكون صبوراً لا يمل .
ليس من الحكمة أن يتعجل الثمر ولا أن ييأس من مخدمه
ويتركه ، إن لم يستجب لتعليمه بسرعة ، أو تحتد أعصابه عليه
ويكثر من توبيخه لئلا يفشل ذاك أيضاً .
الخدمة تحتاج إلى طول أناة ، وإلى رفق بالخطاة . كما أن الرب
نفسه يتأنى ، وطول أناته تقتاد إلى التوبة (رو ٢ : ٤) .
بطول الأناة تحول أوغسطينوس من شاب خاطئ إلى قديس
عظيم ، وتحول شاول الطرسوسي من مضطهد للكنيسة إلى أكبر
كارز تعب في الخدمة .
لذلك لا تشطب من كشفك أسماء الذين افتقدتهم بضع مرات ولم
يحضروا ، ولا تيأس من الذين نصحتهم مراراً ولم يتوبوا ..
ولا تظن أنه لا استجابة ، ربما توجد الإستجابة ، ولكن تحتاج
إلى وقت ...

رابع النفوس حكيم (٢)

لا تكن نقاداً :

هناك أشخاص لا يرون في غيرهم إلا ما يعيبهم . ولا ينظرون إلى الآخرين إلا بمنظار أسود . فهم باستمرار ينتقدون ، ويخسرون الناس بنقدهم لهم ...

أما الإنسان الروحي ، فإنه لا ينتقد كثيراً ، ولا يدين كثيراً . وإذا كان هناك داعٍ روحي للنقد ، فإنه ينتقد في حكمة وفي محبة وفي لطف . لذلك يكسب الناس .

والسيد المسيح ، الذي سيأتي في مجده ، ليدين الأحياء والأموات ، يقول إنه لم يأت لكي يدين العالم ، بل ليخلص العالم (يو ٣ : ١٧) . فإن أردت أن تربح الناس ، اسلك كما فعل السيد المسيح ، وبدلاً من أن تعكف على إدانتهم ، أعمل على خلاصهم .. بدلاً من أن تحكم عليهم ، اشفق عليهم . وبدلاً من أن توبخهم

على أخطائهم، ساعدهم على التخلص من تلك الأخطاء .

فى قصة المرأة الخاطئة ، التى ضبطت فى ذات الفعل ، لم يستطع أن يكسبها الذين عاملوها بقسوة وحكموا عليها ، طالبين رجمها . أما السيد المسيح فقد استطاع أن يكسب نفسها بأن دافع عنها ضد المشتكين عليها ، ثم قال لها "ولا أنا أدينك . اذهبي ولا تخطئى أيضاً " (يو ٨ : ١١) .

الناس يحتاجون إلى عين مغمضة ، لا تفتح لتنظر إلى أخطائهم ، محملة فيما يفعلون ! يحتاجون إلى عين إن رأت خطأ ، كأنها لم تبصر شيئاً .

يحتاجون إلى قلوب مشفقة عطوفة ، تترك تماماً ضعف الطبيعة البشرية وسهولة سقوطها ، وتشفق على الناس إن سقطوا ، وتصلي من أجلهم لكي يقوموا .. وبهذا تربحهم ..

لا يمكنك أن تربح الناس ، إن كنت باستمرار تتأمل أخطاءهم ، وتفحص عيوبهم ، وتحدث عنها أمام الآخرين ، وتستصغرهم بسببها . وقد تعابروهم بها ..! وهكذا تخذش مشاعرهم ولا تكسبهم ..

إننا فى عالم جوعان إلى العطف ، وإلى الحنان والمعاملة اللطيفة ، وقد ذكر القديس بولس الرسول إن اللطف هو من ثمار الروح (غل ٥ : ٢٢) . عامل الناس إذن بلطف .

ولا تكن عينك مفتوحة لأخطائهم ، إنما مفتوحة لترى فضائلهم .
إن تركيزك على أخطاء الناس ، ربما يدفعهم إلى اليأس أو إلى
صغر النفس ، كما أنه لا يشعرهم بإحترامك لهم ، أو على الأقل
بتقديرك لحالتهم ورغبتك في إنقاذهم .

يمكنك كخادم أن تتقّدهم من أخطائهم ، دون أن تخلّهم بها .
ويستثنى من هذا ، أولئك الذين هم في حالة الإستباحة
واللامبالاة ، ويحتاجون إلى من يوقظهم من سباتهم الروحي ،
ليعرفوا خطورة ما هم فيه وينيروا طريقهم ...

وحتى هؤلاء ، يحتاجون إلى من يوبخهم . دون أن يشعرهم
بإحتقار ، كما أنه ينتهز بأسلوب من يحب ومن ينقذ .

صدقوني ، كما أن الناس جياع إلى العطف والحنان ، هم أيضاً
جياع إلى المديح والتشجيع .

المديح الذي يشعرهم أن فيهم شيئاً خيراً ، فترتفع معنوياتهم ،
ويشعرون أنهم قادرون على حياة البر .

إسلوب المديح والتشجيع :

تأكد تماماً أن الشخص الذي تمدحه في صدق وفي إخلاص ،
من السهل أن تكسبه . وكذلك الذي تشجعه كثيراً تكسبه . والذي

تكتشف فضائله وميزاته وقدراته ، وتتحدث عنها، يمكنك بهذا أن تكسبه ..

بهذا كله ، تشعره بمحبتك وتقديرك ، فيميل إليك ، ويكون مستعداً أن يسمع نصائحك ، وأن يقبل عملك الروحي من أجله .
تصور أنك في اجتماع ، يحضره لأول مرة عضو جديد. لتقدمه أنت للحاضرين ، وتشرح مواهبه وإمكانياته وتاريخه وإنتاجه ، وتظهر فرحك بوجوده . لاشك أنك بذلك تكسبه ، إذ يجد فيك صديقاً يحترمه ويقدره .

ولكن ليس مديح الناس معناه تملقهم . كلا . وإنما كل إنسان - مهما كان - له ميزة أو ميزات . اكتشفها وامتدحها، بصدق وإخلاص .

لقد وجد السيد المسيح شيئاً صالحاً يستحق المديح في زكيا العشار ، وفي المرأة السامرية ، وفي الخاطئة التي بللت قدميه بدموعها ومسحتها بشعر رأسها .. بل حتى في الشاب الغني ، إذ قيل عن الرب بأنه " نظر إليه وأحبه " (مر ١٠ : ٢١) . كما أنه قال للسامرية " حسناً قلت .. هذا قلت بالصدق " (يو ٤ : ١٧ ، ١٨) . وقال عن الخاطئة الباكية إنها " أحببت كثيراً " (لو ٧ : ٤٧) . وشرح كيف أنها كانت أفضل من سمعان الفريسي .

إن الرب فى كل هذا ، اكتشف الجوهرة المدفونة فى الطين ،
ونظفها ومدحها ، وأظهرها للناس ، فربحها ، وربح النفوس
حكيم .

كان شاول الطرسوسى مضطهداً للكنيسة ، وكان يجر رجالاً
ونساء موثقين إلى أورشليم (أع ٩ : ٢) . ومع ذلك كان فى داخله
شئ حسن . رآه المسيح ، فاختره رسولاً يبنى به الملكوت .. إن
اكتشاف النور الداخلى الذى تخفيه ظلمة خارجية ، أمر جميل
ومشجع ..

يوجد كثيرون يتعبون ، ولا يجدون من يقدّرهم ، ويجاهدون
ولا يجدون من يشجعهم ، ارفع نفسية هؤلاء فتربحهم .

مثل طفل يجتهد فى دروسه ويحصل على درجات عالية ، ولا
يحس به أحد فى المنزل . فيضطر أن ينيهم بنفسه إلى إمتيازه ،
مأسعد هذا الطفل بمن يكتشف تفوقه ويشجعه ، دون أن يتكلم هو
عن نفسه .

لا تظنوا أن التشجيع هو للصغار فقط ، فالكبار أيضاً يحتاجون
إليه .

كما يحتاج خادمك إلى تشجيع ، ليستمر فى إخلاصه لك وفى
تعبه وتفانيه ، كذلك يحتاج رئيسك إلى تشجيع ، ليستمر فى معاملته

الطيبة لك ولغيرك .

إن صاحب البيت تسعده كلمة تحية ، وتقدير يسمعها من بواب منزله .. فيقول إن هذا البواب هو أفضل بواب عرفه. لا من أجل تقانيه في عمله ، بل لأجل الكلمة الطيبة والمديح والشكر ..

الناس يحتاجون دائماً إلى كلمة طيبة تسعدهم، فيحيون قائلها. والإنسان الذى يملك لساناً عذباً حسن المنطق ، ووجهاً بشوشاً ، وحسن معاملة للناس ، يمكنه أن يربح الدنيا كلها ومن عليها ، إلا من يستسلمون تماماً لقيادة الشياطين ...

من أجل حاجة الناس إلى كلمة طيبة ، أعطاهم الله الإنجيل ومعناه " بشارة مفرحة " وبدأ الرب عظته على الجبل بالتطويبات ، وكلمة "طوبى" معناها السعادة والبركة معاً .. وكان الرب يشجع باستمرار حتى أنه مدح الزرع الذى انتج ثلاثين فقط، وقال إنه زرع جيد كالذى أتى بستين ومائة ...

إن الإنسان الحكيم ، هو شخص لطيف ، يشجع الناس ولا يدينهم ، لذلك فهو يربحهم .

السيد المسيح ما كان يدين بل يشجع ، مع أن جميع خطايا الناس .. الخفيات والظاهرات .. كانت مكشوفة أمامه ومعروفة ، حتى مشاعر القلب ، وحتى الأفكار والنيات والظنون .

فإن كان وهو الذى يعرف كل الخطايا وكل الخفايا ، ويعرفها
عن يقين ، لا يوبخ أحداً ، فكيف بنا نحن الذين لا نعرف الحقيقة
تماماً! وربما ما لدينا من إنتقادات فيه الكثير من الظن أو الشك أو
الظلم ، وقد نحكم على الناس ظلماً ، فيكرهونا ، ولا نربحهم .
وحتى إن وجد فى الناس خطأ يقينى ، فبالكلمة الطيبة نعالجه
ونربحهم .. ما أجمل قول الكتاب " شجعوا صغار النفوس "
(١٤ : ١٤) .

الصغير شجعوه ، والكبير قدروه ووقروه ، والممتاز امدحوه ،
والضعيف لا تحتقروه ..

والإنسان الحكيم الطيب ، رابح النفوس ، يوزع كلمات التشجيع
والبركة على كل أحد .. والمعاملة الرقيقة يعامل بها الكل . وكما
يقول الكتاب " باركوا ولا تلعنوا " (روم ١٢ : ١٤) .

خذوا هذا التدريب ونفذوه : حاولوا أن تكسبوا الناس .. اعطوا
كل إنسان حقه فى الكرامة . اكرموا الكل . اكسبواهم فى محبتهم
لكم ، لكى تقودهم إلى محبة الله .. أنظروا الخير الذى فى الناس
وشجعوه . واكسبواهم بالتشجيع ، وأيضاً بالإتضاع .

اكسبوهم بالإتضاع :

الناس لا يحبون الشخص الذى يتعالى عليهم ، ويحدثهم من فوق ، كأنه فى مستوى أسمى من مستواهم ، بل يحبون الإنسان المتضع ، الذى لا يشعرهم بأنه أعلى منهم .

لذلك فى كسب الناس ، إياك من هذا التعالى الذى ينفر الناس ، ويبعدهم عنك .

فى عظاتك ابتعد عن أسلوب عرض المعلومات والتباهى بالمعرفة ، إنما ركز على ما يلزمهم فى حياتهم الروحية .

ولا تستخدم ألفاظاً أو تعبيرات لا يفهمونها ، بقصد أن تظهر أنك تفهم ما لا يفهمون !..

إنما كن متضعاً فى أسلوبك بسيطاً فى تعبيرك ، تشرح أعمق المعانى فى أسهل الألفاظ . إياك أن تحول الدين إلى فلسفة . وتذكر قول القديس بولس الرسول " وأنا لما أتيت إليكم أيها الأخوة، أتيت ليس بسمو الكلام أو الحكمة .. " (١كو ٢ : ١) . " وكلامي وكرازتى لم يكونا بكلام الحكمة الإنسانية المقنع ، بل ببرهان الروح والقوة " (١كو ٢ : ٤) .

إنك فى خدمتك ، لست تبني نفسك ، بما تقوله من كلام ، إنما

أنت تبني الآخرين .

لذلك كن متواضعاً في خدمتك ، ولا تجعل هذه الخدمة مجالاً للذات ، فليس في ذلك ربح للناس ...

والذين هدفهم (الذات) قد يجعلون مركز إهتمامهم في عظاتهم هو اللغة أو المعلومات ، وليس التأثير الروحي ... أو قد يكون هدفهم هو إعجاب الناس بكلامهم ، وليس قيادة الناس إلى التوبة .

كذلك فإن رابح النفوس الحكيم ، ليس واجبه فقط هو أن يربح المخدمين وإنما أيضاً أن يربح زملاءه في الخدمة .

الخدام المتواضع ، لا يغطي على غيره ، بل يعطيه فرصة ليعمل هو أيضاً . وهو لا يكتسح غيره من الخدام ، بل يتذكر قول الرسول " مقدمين بعضكم بعضاً في الكرامة " (رو ١٢ : ١٠) .

وإذا كان في لقاء لا يأخذ الجلسة كلها لحسابه الخاص ، بل يعطي مجالاً لغيره لكي يتكلم . ولا يقاطعه ، ولا يحقر رأيه ، ولا يحاول أن يثبت أنه أعمق فكراً أو أكثر معرفة ، بل يمتدح ما يقوله زملاؤه من الخدام - ولو كانوا تلاميذه .

وتكون له فضيلة حسن الإصغاء .

فيحبه الناس لإصغائه .. وعندما يتكلم ، لا مانع أن يقول " أعجبنى رأى فلان في كذا . ومن النقط الجميلة ما قاله فلان ، وأنا

أوافق فلانا على رأيه ، وقد استفدت كثيراً مما قاله فلان " ...

وهكذا يعجب الناس بطريقة كلامه ، كما يعجبون بإصغائه .

والخادم الحكيم المتواضع ، لا يتجاهل أحداً ، ولا يستصغر

أحداً ، بل يحترم الكل . فيحبه الناس في تواضعه .

السيد المسيح تواضع فدخل بيت زكا العشار ، وأعطى مقاماً

لمتى العشار بأن جعله رسولاً . ودخل بيوت الخطاة وسمح للمرأة

الخاطئة أن تلمس قدميه وتمسحهما بشعرها . بل أعطى أهمية

للأطفال أيضاً .

لذلك أحبه الكل ، ورجح الكل . وقادهم بمحبته وتواضعه إلى

الملكوت .

وداود النبي بعد إنتصاره على جليات ، وبعد تعيينه رئيساً على

رجال الحرب ، أمكنه أن يكسب جميع الناس بسبب عدم تعاليه

عليهم . وكانوا " يحبونه لأنه كان يخرج ويدخل أمامهم "

(اصم ١٨ : ١٦) .

والخادم المتواضع الحكيم يربح الناس أيضاً بتنازله إلى

ضعفاتهم ...

ومن أمثلة تنازل السيد المسيح لضعفات الناس ، أنه زار

نيقوديموس ليلاً وسراً ، إذ كان نيقوديموس خائفاً من اليهود . فلم

يجبره الرب على إعلان صلاته به مادام لم يكن قد وصل إلى
إحتمال ذلك . وبهذا ربحه إليه ، وأعلن إنتماءه فيما بعد ...

تنازل الله أيضاً لضعف المجوس .

وكانوا يرصدون النجوم ، فأظهر لهم قوة سمائية في هيئة نجم
عجيب في تحركاته وفي إتجاهه ، وفي سيره ووقوفه . وبهذا
جذبهم إلى الإيمان . فلما آمنوا ، لم يرشدهم عن طريق نجم ، وإنما
أوحى إليهم في حلم (مت ٢ : ١٢) .

كذلك تنازل الله للبشرية كلها بتجسده وربحهم بذلك .

إن الذى يتنازل لضعف الناس يربحهم .. أما الذى يتعامل معهم
من برجه العالى ، فلا يمكن أن يصل إلى قلوبهم ولا إلى أفكارهم .
لا تكن كالفيلسوف الذى لا يتكلم إلا بأسلوب معقد ، ولا يتنازل
ليبسط معلوماته للناس ، فلا يجتمع حوله سوى نفر قليل من مريديه
وحوارييه ومن يمكنهم فهمه .

ولا تكن كذلك الأديب الذى عاتبه أحدهم بقوله " لم لا تقول ما
يُفهم " . فأجابه فى عظمة ، " ولم لا تفهم ما يُقال " .

احتمل قصر فهم الناس ، وإن جادلوك فى تعليمك فلا تثر
عليهم ولا تنتهرهم .

الخادم الحكيم المتواضع ، لا يحسب أن كلامه منزّه عن الجدل

والنقاش والحوار . ولا يحاول أو يفرض رأيه على الناس . ولا يعتبر أن مناقشته في كلامه إهانة له ، وإنما بكل محبة وبكل إتضاع يجيب . ولا يضيق صدره مطلقاً بأية معارضة لرأيه ، كما لو كانت كلماته عقائد !

إن فرض الرأي لا يقتع أحداً . وبالتالي لا يربح أحداً . والذي يفرض رأيه في أمور الخدمة ، ينفر الكل منه ...

والخادم الذى يعيش في خدمته وفي تعامله مع زملائه أو مخدميه ، بأسلوب الأمر والنهى ، وبأسلوب السلطة والإدارة ، لا يمكن أن يربح العاملين معه . فإما أن ينفر الكل منه ويصل إلى الإنفرادية في العمل ، أو يتحول محيط الخدمة إلى مجال للصراعات التى تفقد الخدمة روحانياتها .

طريق الإقناع والتفاهم ، قد يكون أطول بكثير من طريق السلطة أو القوة ، ولكنه أكثر ثباتاً ، وأعمق تأثيراً .

وهو الأسلوب الروحى الذى يتسم بالوداعة والإتضاع ، وهو أيضاً أسلوب حكيم ، لأنه يؤدى إلى نتائج عملية سليمة ...

حتى إن كنت على حق بالتمام ، وغيرك على باطل بالتمام ، أصبر واحتمل ، حتى تقنع هذا الغير ، ولا تظن أنك بالعنف يمكن أن تتجاهله وتقضى على رأيه في الخدمة .

الخادم الحكيم يربح الناس بالإحتمال ، وبظول الأناة وسعة الصدر ...

يحتمل فى سبيل ربح الناس كل كلمة جارحة ، وكل صبد .
يحتمل رفض الناس له ، ويحتمل جدلهم ومناقشاتهم .. بل يحتمل
تهكمهم أيضاً عليه من أجل الرب ، من أجل خلاص النفس لأنه إن
لم يحتمل ، قد يخسر مواقف ، وقد تفشل خدمته !...

الخادم المتواضع يربح أقل الناس فهماً ، وأكثرهم عناداً ،
وذلك بكياسته ولباقتة ، وعدم تعاليمه ، وعدم توبيخه للناس ،
وحرصه على مشاعر الكل ...

أما الخادم غير الحكيم ، أو غير المتواضع ، أو الخادم الضيق
الصدر ، فإنه لتفقه بذكائه أو بعلمه أو بمركزه ، قد لا تعجبه أفكار
وتصرفات الناس . فيكثر من توبيخهم حتى يخسرهم . ويلتهر هذا ،
وينتقد ذاك ، ويكلم ثالثاً بكلمة شديدة ، أو ينصح بأسلوب جارح ،
أو بهزء وسخرية . ويعلق تعليقات قاسية على طريقة تفكير غيره
ومدى فهمه . هكذا يخسر الكل ، لمقارنته فى داخل قلبه بين ذكائه
وضعف تفكيرهم .. !

كثيرون لهم عقول كبيرة ، وفى نفس الوقت لهم قلوب صغيرة
ونفسيات أصغر ... !

ولذلك يفشلون فى الخدمة ، لا بسبب العقل أو المعرفة ، إنما بسبب القلب المحب لذاته ، وبسبب النفس التى تضيق بسرعة ، أو بسبب الأعصاب المتوترة . وفى كل ذلك لا تسعفهم عقولهم بحلول ، لأن حالتهم النفسية لم تعطِ فرصة للعقل الكبير أن يتصرف . فقامت الأعصاب بقيادة الموقف .

لذلك نقدم نصيحة هامة وهى :

اربح الله فتربح الناس :

كن إنساناً روحياً ، قبل أن تدخل الخدمة لتعلم الناس الروحيات . اعراف الطريق الموصلة إلى الله ، لكى يمكنك أن تقود غيرك إليه . اربح الله أولاً ، حينئذ تربح نفسك ثابتة فى الله . وإن ربحت نفسك ، ستربح الناس ، بالقدوة قبل التعليم . كما أنك ستعرف الأسلوب الحكيم ، الذى يمكنك به أن تكسب محبة الناس لك ، ومحبتهم لله ...

وإن كنت تربح الله ولم تربح نفسك فانتظر ولا تغامر بالخدمة ، ثلاً يعيروك قائلين : أيتها الطبيب اشف نفسك أولاً ! حينما تخرج الخشبة من عينك ، ستبصر جيداً ، وتعرف كيف تخرج القذى من عين أخيك (مت ٧ : ٥) .

العمل الديني البتاء
والعمل الفروي



العمل الإيجابي البناء

في حياتنا الروحية وفي خدمتنا، علينا أن نهتم بأعمال البناء وبالأعمال الإيجابية. ولكن فيما نحن نبني حياتنا وحياة الناس، مشتركين مع الروح القدس في العمل ، يتدخل الشيطان ليقدم لنا سلبيات لكي تنشغل بها عن عملنا الروحي البناء ...

أما الإنسان الحكيم ، فهو الذي لا يسمح للسلبيات أن تشغله وتعطله عن عمله الإيجابي. لذلك فهو يسلك في عمل البناء باستمرار، ويبعد عن الأمور السلبية، التي تدخله في صراعات لا تنتهي، يفقد فيها روحياته، ويفقد خدمته، ويتعطل عمله البناء...

في الواقع أن السيد المسيح نفسه ، هو الذي وضع لنا قاعدة العمل الإيجابي وعدم الإنشغال بالسلبيات .

في فترة تجسده على الأرض ، حينما بدأ خدمته، كانت هناك أخطاء كثيرة جداً جداً في المجتمع الذي عمل فيه .. كانت هناك أخطاء تحيط بالقادة : الكتبة والفريسيين والصدوقيين والناموسيين

والكهنة وشيوخ الشعب... وهناك أخطاء أخرى تحيط بكل من
هيرودس وبيلاطس ، وبالعشارين ورؤسائهم ، وبغير أولئك جميعاً .
ولم يضع السيد المسيح وقته في محاسبة كل هؤلاء ، إنما
كان يجيبهم إن تعرضوا له . وانشغل بالعمل الإيجابي .

انشغل بالوعظ والتعليم ، وبالإشفاق على المرضى وبالحزاني
والمعوزين ، وكان باستمرار "يجول يصنع خيراً ويشفي جميع
المتسلط عليهم إبليس" (أع ١٠ : ٣٨) . "وكان يطوف كل الجليل ،
يعلم في مجامعهم ، ويكرز ببشارة الملكوت ، ويشفي كل مرض
وكل ضعف في الشعب" (مت ٤ : ٢٣) . "ويقول قد كمل الزمان ،
واقترب ملكوت الله . فتوبوا وآمنوا بالإنجيل" (مر ١ : ١٥) .

اشتغل وانشغل بتعليم الناس ، وبرعايتهم ...

"تحنن عليهم ، إذ كانوا منزوعين ومنطرحين كغنم لا راعي
لها" (مت ٩ : ٣٦) . كان يعظ على الجبل ، ووسط الزروع ، وفي
الطريق ، وفي مواضع خلاء ، وفي البيوت ، وعلى شاطئ
البحيرة ، وفي كل مكان ، ويشفق على الناس ويهتم بهم ، مع أنه "لم
يكن له أين يسند رأسه" (لو ٩ : ٥٨) .

لم يضع وقته في مشكلة العشارين كيف يجمعون العشور
بطريقة يظلمون فيها الناس ، ولا شغل وقته بما يفعله حنان وقيافا

ومجمع السنهدريم ... إنما كان شغله هو الشعب ، وكيف يعلمه ويرعاه . وهكذا قتم لنا عملياً المثل الذى يقول :
بدلاً من أن تلعنوا الظلام ، أضيئوا شمعة ...

نعم . إن أضأنا شمعة ، ينقشع الظلام دون أن نحاربه ، ودون أن نعطل عملنا الإيجابى بسببه ...

ولكن لعل أحدكم يقول : ولكن السيد المسيح وبخ الكتبة والفريسيين ، وقال لهم : أيها القادة العميان . إنكم تغلقون ملكوت السموات قدام الناس ، فلا تدخلون أنتم ولا تدعون الداخلين يدخلون . ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون .. كيف تهربون من دينونة جهنم ؟! " (مت ٢٣ : ١٣ ، ٣٣) .. وكذلك قال للكهنة " إن ملكوت الله ينزع منكم ، ويعطى لأمة تعمل ثماره (مت ٢١ : ٤٣) . ووقف ضد الصدوقيين والناموسيين (مت ٢٢) . كما أنه ظهر الهيكل ، وقلب موائد الصيارفة . وقال " مكتوب بيتى بيت الصلاة يدعى ، وأنتم جعلتموه مغارة لصوف " (مت ٢١ : ١٢ ، ١٣) . فكيف نقول إنه لم تشغله السلبيات ؟!

لقد فعل السيد المسيح ذلك فى الأسبوع الأخير ، لكى يغير القيادات حتى لا تبقى كنيسته تحت سلطانها ...

كل ذلك حدث ما بين أحد الشعانين وما قبل الفصح بيومين

(مت ٢٦ : ٢) قبل الجلجثة بأيام قليلة . وكان تغيير القيادات الدينية لازماً قبل صلبه ...

أما طوال سنوات الخدمة ، فكان إهتمامه كله بالعمل الإيجابي في رعاية الشعب ، وتكوين القيادات الجديدة التى يسلمها مفاتيح الملكوت . وخلال تلك السنوات لم يكن يحارب أولئك المنحرفين ، بل هم الذين كانوا يحاربونه . فيرد عليهم ليشرح لهم الصواب هم والذين يسمعونه ...

وهناك مثل عجيب قدمه لنا السيد المسيح عن الملكوت ، وهو مثل الحنطة والزوان ، وما يحمل من تعليم روحى ...

قال إن " عدواً جاء وزرع زواناً فى وسط الحنطة ومضى .. " (مت ١٣ : ٢٥) . فاقترح عبيد السيد أن يقلعوا الزوان من الحقل . فأجابهم " لا . لئلا تقلعوا الحنطة مع الزوان وأنتم تجمعونه . دعوها ينميان كلاهما معاً إلى الحصاد " (مت ١٣ : ٢٩) . وفى يوم الحصاد يجمع الزوان ويحرق .

نعم يا أخوتى ، ليس عملكم أن تقلعوا الزوان ، لئلا تقلعوا حنطتكم معه ... عملكم هو أن تنموا كحنطة .

وعندما يأتى يوم الحصاد العظيم ، ينظر الرب إلى حقولكم فيجدها مملوءة حنطة . فيجمع منها ثلاثين وستين ومائة ، وتملئ

أهراؤه قمحاً .

هذا هو العمل الإيجابي النافع .. أما إذا شغلتم وقتكم بجمع الزوان وخلعه من الأرض ، فقد تتلفون أعصابكم ، وتضيعون روحياتكم ، وتقعون فى أخطاء لا تعد. كاولئك الذين باسم الإصلاح، استخدموا أسلوب الشتائم والإدانة والتشهير ، ووقعوا فى الغضب والنفرة ، وفى الحقد والتحطيم، مع الصياح وعلو الصوت، وإعثار الآخرين بما يقولون ...

وإذا بهم فيما يخلعون الزوان ، صاروا هم زواناً ...

لأنه ما هى طبيعة الزوان إلا ما يفعلون ...! أما روحياتهم فضاعت فى غمرة الصراع . وخدمتهم توقفت وأعثرت . ولم يقدموا لا قوة ولا إصلاحاً .. واختبروا واختبر الناس معهم حكمة ما قاله السيد المسيح :

" لا . لنلا نقلعوا الحنطة مع الزوان وأنتم تجمعونه " .

إن كان الرب قد قال هذا عن الزوان الحقيقى ، فماذا يقال إذن عن الذين يحسبون الحنطة زواناً، لضعف رؤيتهم ، فيتحمسون لخلع الحنطة ، ويبقى الزوان وحده فى الحقل !! ولا يجد صاحب الحقل شيئاً قد بقى له ليحصده ويضمه إلى مخازنه ...

كونوا إذن حنطة . واحذروا من الإنشغال بجمع الزوان .

إن الشغوفين بخلع الزوان يفقدون سلامهم القلبي ، ويفقدون
التواضع والوداعة ، بل يفقدون أيضاً سلامهم مع الناس .
وباستمرار تجدهم غاضبين متضايقين ، ينفثون غضبهم في الكل .
ولا يتحدثون إلا عن الأخطاء والنقاط السوداء . ويصورون الحال
قاتماً كثيباً ، ويتحولون إلى شرر من النار يحرق كل ما يصادفه
في قسوة وعنف ... وفيما يفكرون في خطايا الآخرين ، ينسون
خطايا أنفسهم !!

أما أنت يا رجل الله ، فانشغل ببناء الملكوت في وداعة
وهدوء ، وفي محبة لكل ، وبتواضع قلب .

عملك الإيجابي كخادم هو أن تبني . وكما قال القديس بولس
الرسول " ليكن كل شيء للبنیان " (١كو ١٤ : ٢٦) . واعرف أن
الذي يبني ، دائماً يصعد إلى فوق . أما الذي يهدم ، فهو دائماً ينزل
أو يهبط إلى أسفل ...

واحذر وأنت تخلع الزوان من الأرض ، أن تقلع الحنطة التي
فيك ، والتي في سامعيك ...

ازرع الحنطة في كل مكان ، واحسن انتقاء ما تلقيه من بذار ،
ازرع الحب في كل قلب ، وقل كلمة عزاء ورجاء ، وكلمة منفعة .
حتى الأشرار ، حاول أن تكسبهم بالحب . وليس معنى هذا أن

تخضع للباطل أو تجامله ، فتنتقل من الضد إلى الضد .

ولا تبدد طاقاتك فى السلبيات ، فإن الشيطان مستعد أن يقدم لك سلبيات فى كل يوم، ليشغلك بها !!

هو مستعد أن يقدم لك شائعات وأخباراً فى كل يوم، ومشاكل وصراعات ومضايقات . ويكشف لك اسراراً وأفكاراً، إن أعطيتها مكاناً فى ذهنك تتعب أعصابك ونفسيّتك .. قل لنفسك : ما شأنى بكل هذا؟! أنا وقتى مكرس لخدمتى . لا يجوز لى أن آخذ وقت الله، لكى أقدمه لمناقشة السلبيات ...

أحب أن أضرب لك مثلاً بما حدث فى تاريخنا الحديث من أواخر القرن التاسع عشر وبداية العشرين .

كانت هناك نقائص شديدة فى الخدمة ، بل لم يكن هناك وعاظ فى الكنائس ولا كهنة متعلمون . ولذلك بدأت الطوائف تتأسس وتنمو على حساب الكنيسة . وكثرت لذلك الإنشاقات والصراعات الداخلية .

البعض استخدم أسلوب الشتائم والانتقادات والتجريح . والبعض دخل مع الكنيسة فى صراع وصل إلى المحاكم وانفقت أموال طائلة فى القضايا ... والبعض ظل يبكى على سوء ذلك الحال ...

وكل ذلك لم يجد نفعاً . لا انتفعت الكنيسة بالانتقادات والتجريح،

ولا بالإنقسام والقضايا ، ولا بالبكاء ... فكيف تم الإصلاح إذن ؟
تم الإصلاح عن طريق العمل الإيجابي الذى آمن به حبيب
جرجس قائد الخدمة فى القرن العشرين ...

لم ينشغل بكل أخطاء زمانه . وإنما بدأ يعمل : حفر أساساً
ووضع فيه حجرين هما الإكليريكية ومدارس الأحد . وظل يبنى .
وأخذ البناء يرتفع . وتكوّن عدد كبير من الخدام يعملون فى الوعظ
والتعليم ، فى الكنائس وفى الجمعيات وفى مدارس الأحد وفى
القرى . وهو يرتل فى قلبه للرب قائلاً " وأما شعبك فليكن بالبركة
ألف ألف وربوات ربوات يصنعون مشيئتك " .

إنه لم ينتقد النقص ، إنما عمل على تزويد الكنيسة
بالإحتياجات التى تنقصها ...

وجد الكنيسة ينقصها الوعظ ، حتى أن كثيراً من الآباء الكهنة
كانوا يقرأون من كتب الوعظ وليست لهم قدرة على الوعظ ولا
كفاءة ، فلم ينتقد ذلك ولم يملأ الدنيا بكاء على الكنيسة ، وإنما بدأ
فى إعداد الوعاظ والخدام . واستطاع أن يجعل طلبة الإكليريكية
ينشئون جمعيات للوعظ أمكنها أن تؤسس ٨٤ فرعاً فى القاهرة
والجيزة وضواحيها .

ووجد أن الأطفال والشبان لا يجدون من يعلمهم ، فلم ينتقد

الكنيسة على ذلك ولم يجرحها . وإنما أنشأ مدارس الأحد التي انتشرت في كل مكان . وبدأ يؤلف الكتب لتدريسها في المدارس العامة ، وفي مدارس التربية الكنسية .

ولما وجد الترانيم البروتستانتية بدأت تزحف وتجد مكانها في بعض الاجتماعات ، أخذ ينظم تراويل على ألحان الكنيسة . وهكذا خدم في كل مجال .

والآن نسي الناس كل السلبيات التي كانت موجودة . وثبت في ذاكرتهم العمل الإيجابي البناء الذي قام به حبيب جرجس ، وقدم به درساً .

وهنا أذكر عبارة وردت في قصة الخليفة :

قيل " كانت الأرض خربة وخالية ، وعلى وجه الغمر ظلمة " (تك : ١ : ٢) . فما الذي فعله الرب ؟

لم يقل الكتاب إن الله لعن الظلمة والخراب . إنما قيل " إن روح الله كان يرف على وجه المياه " .

ولم يقل الله : لا تكن ظلمة . إنما " قال الله فليكن نور ، فكان نور " (تك : ١ : ٣) .

ورأى الله النور أنه حسن . وفصل الله بين النور والظلمة " (تك : ١ : ٤) .

والله يدعونا أن نكون نوراً . بل قال " أنتم نور العالم " (مت ٥ : ١٤) . وإن صرنا نوراً ، سوف ينقشع الظلام من تلقاء ذاته ، دون أن نلعن الظلام .

العمل البناء هو العمل الباقي لنا ولغيرنا . والعمل الإيجابي كله ربح ، لا خسارة فيه لنا ولا لغيرنا ...

أقول هذا لكم ، لأنى رأيت فى طريق الحياة أشخاصاً ينظرون بعيون لا ترى إلا السواد . وأما النقاط البيضاء فلا يرونها ، ولا يتحدثون عنها . هم يبحثون عن الظلام ، لكى يركزوا عليه وينتقدونه .

وفى كل ذلك يفقدون بشاشتهم ووداعتهم وسلامهم الداخلى . وحديثهم عن الظلام يجعل سامعيهم يفقدون سلامهم أيضاً ، ويفقدون فرحهم ، ولا يرون الأرض إلا خربة وخالية . وعيون هؤلاء الناقدين لا ترى روح الله يرف على وجه المياه ، ولا تسمع صوت الله يقول " : ليكن نور " فكان نور ... حقاً ، ما أجمل قول الكتاب : " ما أجمل قدمى المبشر بالخير ، المخبر بالخلاص " (أش ٥٢ : ٧) (نا ١ : ١٥) .

لقد بدأ العهد الجديد بملائكة يبشرون بالخلاص ويحملون بشارة مفرحة ، يقول فيها الملاك " أبشركم بفرح عظيم يكون لكم ولجميع

الشعب " (لوقا : ١٠) .

ليتكم إذن في خدمتكم يحملون للناس خبراً مفرحاً . إن الشعب
له من آلامه ما يكفيهِ ، ويحتاج إلى كلمة عزاء تفرحه وتعطيه
رجاء . افتحوا له إذن طاقات من نور . وإن لم تجدوا نوراً على
الإطلاق، حاشا ... فكونوا أنتم نوراً له . كونوا أصحاب العمل
الإيجابي البناء . وقدموا للشعب بعملكم وخدمتكم ما يفرحه .

كونوا كالحمامة التي حملت لنوح ورقة زيتون خضراء . فطم
أن المياه قد قلت عن الأرض (تك ٨ : ١١) .

العمل الفردي

لعله من أروع الأمثلة على أهمية العمل الفردي في الخدمة :
أن الله نفسه - على الرغم من رعايته للعالم كله - اهتم
بالعمل الفردي .

في العهد القديم :

الله يرسل ملاكه إلى الجب الذي ألقى فيه دانيال ، لكي يسدّ
أفواه الأسود فلا تؤذيه (دا ٦: ٢٢) . وكذلك يسير مع الثلاثة فتية
في أتون النار ، فلا تكون للنار قوة لإحراقهم (دا ٣: ٢٥ - ٣١) .
ويفتقد إيليا ، وهو خائف ، وهارب من الملكة إيزابيل ، ويسأل
عنه قائلاً له بصوت منخفض خفيف "مالك ههنا يا إيليا ؟"
(امل ١٩: ١٢ ، ١٣) . وكذلك يظهر ليعقوب وهو خائف وهارب
من وجه أخيه عيسو ، لكيما يعزى قلبه بكلمات المحبة والمعونة
قائلاً له : "ها أنا معك ، وأحفظك حيثما تذهب ، وأردك إلى هذه
الأرض" (تك ٢٨: ١٥) .

وبنفس العمل الفردي قام الرب بعملية إنقاذ ، لكي ينجي سارة

من الملك أبيمالك ، وظهر له في حلم ، وحذره وأنذره ، وقال له
"وأنا أيضاً أمسكتك عن أن تخطئ إليّ ، لذلك لم أدعك تمسها"
(تك ٢٠: ٣ - ٦) .

وكما كان للرب عمل فردي مع كل من هؤلاء لإنقاذه ، أو
منحه السلام ، أو لإنقاذ الغير منه ، كذلك كان للرب عمل فردي
في دعوة البعض إلى خدمته .

فهكذا دعا الله أبانا إيرام أبا الآباء والأنبياء ، ليذهب إلى الجبل
الذي يريه إياه ، وباركه وجعله بركة ، وقال له أيضاً " وتبارك
فيك جميع قبائل الأرض " (تك ١٢: ١ - ٣) .

ودعا الرب موسى من وسط العليقة المشتعلة بالنار ، ولما
اعتذر عن ذلك بأنه ثقيل الفم واللسان وليس صاحب كلام ، منحه
أخاه هرون لكي يكون له فماً . وقال له " تكلمه وتضع الكلمات في
فمه . وأنا أكون مع فمك ومع فمه . وأعلمكما ماذا تصنعان "
(خر ٤: ٤) (خر ٤: ١٠ - ١٦) .

ودعا الرب أرميا أيضاً " ولما اعتذر بأنه صغير السن ، قال له
" هاأذا قد جعلتك اليوم مدينة حصينة ، وعمود جديد ، وأسوار
نحاس على كل الأرض ... فيحاربونك ولا يقدرُونَ عليك ، لأنني
أنا معك - يقول الرب لأنقذك " (أر ١: ٦ - ١٩) .

ودعا الرب سائر الأنبياء ، وكان معهم . وكان له عمل فردى مع كل منهم .

وفي قصة يونان النبى ، كان للرب عمل فردى معه ، ومع أهل السفينة . وعمل فردى آخر مع مدينة نينوى .

وهكذا فى تلك القصة ، كان العمل الفردى مع يونان هو قيادته إلى الطاعة وإنقاذه من جوف الحوت ، وإقناعه وتخليصه من فمه . وكان عمله مع أهل السفينة ، لقيادتهم إلى الإيمان ، وتقديم نبيحة له ...

وعمله مع أهل نينوى هو لقيادتهم إلى التوبة والإنسحاق ، والإيمان به أيضاً ، باعتبارهم من الأمم ... وهنا نلاحظ ملاحظة هامة وهى :

عمل الله مع مدينة نينوى يعتبر عملاً فردياً ، إذا قيس بكل ما فى العالم من مدن .

ونفس الوضع يعتبر عمل الله مع شعب إسرائيل فى العهد القديم: من جهة قيادته لهذا الشعب ، وإرسال الأنبياء والشرعة والعهود له ، وكذلك ما أجراه معه من الآيات ، وما أوقعه عليه من العقوبات ... إنه مجرد شعب واحد ، إذا قيس بالشعوب العديدة فى العالم كله . لاشك أن عمل الله معه ، يعتبر بوجه المقارنة عملاً

فردياً .

والأمثلة عن العمل الفردي في العهد القديم عديدة جداً ، من الصعب إيرادها الآن . ننتقل إلى نقطة أخرى وهي :

العمل الفردي للسيد المسيح :

كانت للسيد المسيح رسالة وسط الجموع والآلاف العديدة من الناس ، مثلما حدث في معجزة الخمس خبزات والسمكتين ، حيث كان الرجال فقط خمسة آلاف غير النساء والأطفال (مت ١٤ : ٢١) ، وقد قيل في أكثر من موضع أن الجموع كانت ترحمه (لوقا ٨ : ٤٢ ، ٤٥) (مر ٥ : ٢٤ : ٣١) . وحدث مثل ذلك أيضاً في قصة شفاء المفلوج الذي حمله أربعة (مر ٢ : ٢ - ٤) .

وعلى الرغم من كل ذلك ، كان للسيد المسيح عمل فردي . إذ لم يشأ أن يضيع الفرد في زحمة الجموع . ومثالنا عمله مع زكا العشار .

كان الجمع يزحم السيد المسيح . ولم يقدر زكا أن يراه بسبب الجمع ، فصعد إلى جمييزة . ووسط كل تلك الجموع والزحام ، وقف السيد ونادى زكا باسمه ، ودخل بيته " وحصل خلاص لهذا البيت ، إذ هو أيضاً ابن إبراهيم " (لوقا ١٩ : ٩) . وتاب زكا ، واعترف

بأخطائه ، ورد ما قد ظلم فيه الغير أربعة أضعاف .

كذلك كان للسيد المسيح عمل فردى مع نيقوديموس .

قابله نيقوديموس ليلاً ، وحدثه المسيح عن الميلاد من الماء والروح وعن ابن الإنسان الذى هو فى السماء، وعن الخلاص (يو ٣: ١ - ٢١) . وأثمر هذا اللقاء فأمن نيقوديموس ، بل إنه اشترك مع يوسف الرامى فى تكفين جسد المسيح (يو ٢٠: ٣٨ - ٤٠) . ويذكر التاريخ إنه فيما بعد صار أسقفًا ...

وكان للسيد أيضاً عمل فردى مع المرأة السامرية .

قابلها عند البئر ، وتحدث معها عن الماء الحى، وعن السجود لله بالروح والحق ، وقادها إلى الإعتراف والتوبة وإلى الإيمان به . وقد تعجب التلاميذ من أنه كان يتكلم مع امرأة (يو ٤: ٢٧) . ولكن حديثه معها كان له ثمرة ، ليس فقط فى حياتها الخاصة فى إيمانها وتوبتها ، بل أكثر من هذا إنها ذهبت لتبشر أهل السامرة ، بأن هذا هو المسيح (يو ٤: ٢٨ - ٣٠) .

والإصحاح ١٥ من إنجيل لوقا ، كله عن أعمال فردية لأجل التوبة .

سواء عن الخروف الضال ، الذى ذهب الراعى الصالح ليجث عنه تاركاً التسعة والتسعين ، حتى وجده وحمله على منكبيه فرحاً،

أو البحث عن الدرهم المفقود ، أو الفرع برجوع الإبن الضال وإقامة وليمة له ، أو العمل الفردي لإقناع أخيه الكبير الذى كان ساخطاً على الفرع برجوعه .

ومن الأعمال الفردية أيضاً التى لها دلالتها :

عمل السيد المسيح مع مرثا ، حيث قال لها " أنت تهتمين وتضطربين لأجل أمور كثيرة ، ولكن الحاجة إلى واحد " (لو ١٠: ٤١، ٤٢) .

وكذلك عمله مع المولود أعمى ، بعد شفائه له ، وقد طرده اليهود خارج المجمع . فظهر له الرب ، ودعاه إلى الإيمان به ، وأعلن له أنه ابن الله : فقال الرجل " أؤمن يا سيد ، وسجد له " (يو ٩: ٣٥ - ٣٨) .

كذلك حديثه مع نثنائيل ، لما قال له " قبل أن دعاك فيلبس ، وأنت تحت التينة - رأيته . فأمن نثنائيل وقال له " يا معلم ، أنت ابن الله " (يو ٢: ٤٧ - ٥١) .

وما أكثر الأعمال الفردية التى قام بها السيد المسيح ، سواء مع تلاميذه الإثنى عشر ، أو مع بطرس ويعقوب ويوحنا ، أو حتى فى قصة التجلى مع موسى وإيليا (مر ٩: ٢ - ٨) . ومع أفراد كثيرين آخرين .

ولا ننسى الأعمال الفردية التي قام بها السيد المسيح بعد القيامة :
حيث ظهر لتلميذى عماوس " وابتدأ من موسى ومن جميع
الأنبياء يفسر لهما الأمور المختصة به في جميع الكتب " (لو ٢٤ :
٢٧). كذلك ظهوره لتوما ، وكيف نجاه من شكه ، وأعطاه الفرصة
أن يلمس جراحه ، وقال له " لا تكن غير مؤمن بل مؤمناً " (يو ٢٠ :
٢٦ - ٢٩) . وبنفس الوضع ظهر لمريم المجدلية ، التي ثلاث
مرات تقول " أأخذوا سيدي ولست أدري أين وضعوه " (يو ٢٠ : ٢ ،
١٣ ، ١٥) . فبكلامه معها آمنت بقيامته ، بل أرسلها لتبشر التلاميذ ،
مع مريم الأخرى (مت ٢٨) .

وظهر الرب بعد القيامة للتلاميذ ، وأقنعهم بأنه ليس مجرد روح
أو شبح ، فالروح ليس له لحم وعظام ، وأراهم يديه ورجليه ،
وأكل قدامهم (لو ٢٤ : ٣٦ - ٤٣) . بل ظهر لهم أيضاً ومنحهم سر
الكنهوت . نفخ في وجوههم ، وقال لهم : اقبلوا الروح القدس . من
غفرتم له خطاياه غفرت له ، ومن أمسكتموها عليه أمسكت " (يو ٢٠ : ٢٢ ، ٢٣) .

بل عمل أيضاً عملاً فردياً مع بطرس ، الذي كان حزيناً جداً
على إنكاره للمسيح قبل صلبه . فعزاه وقال له " ارع غنمي ...
ارع خرافي " (يو ٢١ : ١٥ - ١٧) .

ومن أعظم الأعمال الفردية التي عملها الرب بعد صعوده :

دعوته لشاول الطرسوسى :

ظهر له فى طريق دمشق ، وعاتبه قائلاً " شاول شاول لماذا تضطهدنى ؟! " (أع ٩ : ٤) . وقاده إلى الإيمان ، وأرسله إلى حنانيا فعمده (أع ٢٢ : ١٦) . واختاره رسولاً للأمم (أع ٩ : ١٥ - ١٨) . وظهر له مرة أخرى فى رؤيا الليل وهو فى كورنثوس وقال له " لا تخف ، بل تكلم ولا تسكت . لأنى أنا معك ، ولا يقع بك أحد ليؤذيك . لأن لى شعباً كثيراً فى هذه المدينة " (أع ١٨ : ٩ ، ١٠) . كما أرسله مرة وقال له " اذهب فإنى مرسلك بعيداً إلى الأمم " (أع ٢٢ : ٢١) . كذلك ظهر له مرة أخرى وقال له " ثق يا بولس ، لأنك كما شهدت بما لى فى اورشليم ، هكذا ينبغي أن تشهد فى رومية أيضاً " (أع ٢٣ : ١١) . وأطاع القديس بولس ، وذهب إلى رومية ليؤسس كنيستها " وأقام سنتين كاملتين فى بيت أستأجره لنفسه . وكان يقبل جميع الذين يدخلون إليه ، كارزاً بملكوت الله ، ومعلماً بأمر الرب يسوع المسيح ، بكل مجاهرة بلا مانع " (أع ٢٨ : ٣٠ ، ٣١) . ولعل من اعظم الأعمال الفردية التي قام بها السيد المسيح :

عمله مع اللص اليمين

كيف كان تأثيره على ذلك اللص المصلوب معه ، حتى آمن وقال له " اذكرنى يارب متى جئت فى ملكوتك " فأجابه الرب "الحق أقول لك اليوم تكون معى فى الفردوس " (لو ٢٣ : ٤٢ ، ٤٣). وأدخله معه فعلاً إلى الفردوس .

أعمال فردية للرسل :

إن الرسل كرزوا فى جميع الأمم وتلمذوهم وعمدوهم (مت ٢٨ : ٩)، بل كرزوا بالإنجيل للخليقة كلها (مر ١٦ : ١٥). ومع ذلك كانت لهم أعمال فردية :

مثال ذلك عمل بولس وسيلا مع سجان فيلبى ، فى دعوته إلى الإيمان " حيث كلماه وجميع من فى بيته بكلمة الرب ... واعتمد فى الحال هو والذين له أجمعون " (أع ١٦ : ٣١ - ٣٣) . كذلك عمل بولس مع ديونسيوس الأريوباغى (أع ١٧ : ٣٤) الذى صار فيما بعد أسقفاً لأثينا ... كذلك عمله مع تلاميذ كثيرين صاروا من أعوانه فى الخدمة فيما بعد ...

ومن الأمثلة الجميلة فى العمل الفردى :

عمل فيلبس مع الخصى الحبشى

رأى ذلك الرجل فى مركبته يقرأ سفر أشعيا ، فسأله " أفهم ما تقرأ ثم بدأ يشرح له ، وبشره باسم يسوع . وانتهى ذلك اللقاء العابر ، بأن اقبلا على ماء ، فعمده ، وذهب ذلك الخصى فى طريقه فرحاً (أع ٨ : ٢٧ - ٣٩) .

كذلك العمل الفردى الذى قام به بولس الرسول نحو ليديا بائعة الإرجوان التى تأثرت بكلامه وآمنت واعتمدت . وأستجاب بولس الرسول لطلبتها ، فدخل بيتها (أع ١٦ : ١٥) . وقيل إن بيتها صار كنيسة للرب فى ثياترا .

ومن الأمثلة التاريخية للعمل الفردى ، عمل مارمرقس مع أنيانوس .

وكيف أنه انتهر كلمة عن الله التى لفظها ، فبشره وعمده ، وصار أول من آمن على يديه فى الأسكندرية ، وصار بيته كنيسة . بل أصبح أسقفاً ، وأول خليفة لمارمرقس .

العمل الفردي (٢)

الآباء الرسل كان لهم عمل فردي ، حتى في رسائلهم :

مثال ذلك رسالة القديس بولس مع فليمون . فقد كان فيها عمل فردي مع فليمون ، وعمل آخر مع عبده أنسيموس الذي صيره القديس بولس أخاً وخادماً نافعاً له في الخدمة ، وتعهد بأن يوفى عنه ديونة .. (قل ١٦ - ١٨) .

كذلك رسالته أيضاً إلى تيموثاوس . بالإضافة إلى ما ورد فيها عن حياته وسلوكياته ، بل عن صحته الجسدية أيضاً ، إذ يقول له "لا تكن بعد شريب ماء، بل خذ قليلاً من الخمر لأجل معدتك وأسقامك الكثيرة " (١ تي ٥ : ٢٣) .

والأمثلة كثيرة عن العمل الفردي في رسائل الآباء الرسل .

مميزات العمل الفردي :

العمل الفردي يتميز عن العمل الجماعي بعدة أمور ، نذكر منها :

١ - فيه نوع من التركيز والتخصيص والفائدة المباشرة :

ففى العظة التى تلقى فى الكنيسة أو فى أى إجتماع ، يتكلم الخادم كلاماً عاماً لجميع الناس . ولكنه فى العمل الفردى يكلم إنساناً بالذات يمس الحياة الخاصة لهذا الإنسان ، والظروف التى يمر بها . إنها خدمة مركزة ، ونتيجتها واضحة .

فما معنى عبارة " نتيجتها واضحة " ؟ .

أى أنه فى العظة العامة ، لا يعرف الواعظ ماذا كان تأثير كلامه ، وهل أتى بنتيجة أم لا . أما فى العمل الفردى ، فيرى النتيجة أمامه . إنه يكلم شخصاً يرى أمامه مدى استجابته أو رفضه ، ومدى تفاعله مع الكلام الذى يسمعه ، وإن كان له إعتراض يبيده ...

٢ - العمل الفردى يتميز أيضاً بمكافأة خاصة ، لأنه عمل فى الخفاء .

العظات العامة ، والفصول الكبيرة فى التربية الكنسية ، والخدمة فى القرى ، لها وضوح وهى ظاهرة أمام الكل . وقد يوضع جدول لها يبين إسم الخادم وخدمته وموعدها . أما العمل الفردى ، فهو فى الخفاء ، لا يحس به أحد ، ولا ينال إعجاباً من جمهور . ولكن كما قال السيد الرب " ابوك الذى يرى فى الخفاء ، هو يجازيك علانية " (مت ٦ : ٤ ، ٦) .

٣ - كذلك العمل الفردي ، يحمل أيضاً تواضعاً في الخدمة .

هناك أشخاص لا يخدمون إلا على مستوى معين !! إما في اجتماع كبير ، أو كنيسة كبيرة ، أو مكان له شهرته ... وإلا فإنهم يعتذرون عن الخدمة ..! أما العمل الفردي فإن فيه إتضاعاً ، لأن الخادم يكلم فيه شخصاً واحداً ، في بعد عن الشهرة ، فهي خدمة تعطى ، وفيما يبدو لا تأخذ شيئاً ...

٤ - العمل الفردي يتميز بحب أكثر ، وبإهتمام أكثر .

فيه عنصر المبادرة وعنصر الإهتمام . ففي العظات العامة يذهب الناس إلى الكنيسة . أما في العمل الفردي ، فالخادم هو الذي يذهب إلى المخدمين ، وإيسوا هم الذين يأتون إليه . وحتى إن أتى بعضهم ، فإنه يجد إهتماماً خاصاً .

العمل الفردي هو حب للناس . هو إدراك لقيمة النفس الواحدة.

هو إدراك على لقيمة النفس التي مات المسيح لأجلها . وكان ثمنها هو دم المسيح . هو إنتشال لهذه النفس من النار ، كما قال الرسول " وخلصوا البعض بالخوف ، مختطفين من النار " (يه ٢٣) . وكما قال ملاك الرب عن يهوشع وهو ينقذه من الشيطان الذي يقاومه " أفليس هذا شعلة منتشلة من النار " (زك ٣ : ٢) . وما

أعمق قول معلمنا يعقوب الرسول " من ردّ خاطئاً عن ضلال طريقه ، يخلص نفساً من الموت ويستتر كثرة من الخطايا " (يع: ٥: ٢٠) .

٥ - وربما عمل فردى تكون له خطورته ، ويتحول إلى عمل عام كبير .

مثل عمل السيد المسيح مع شاول الطرسوسى ، فى عتابه له وهدايته ، وفى دعوته أيضاً . وكيف أنه بهذا العمل الفردى ، تحول شاول إلى طاقة جبارة فى العمل الكرازى ، وتعب فى الخدمة أكثر من جميع الرسل (١كو ١٥ : ١٠) .

فما أدراك . ربما هذا الفرد الذى تخدمه يصير شيئاً كبيراً فيما بعد ...

٦ - أيضاً فى العمل الفردى ، تأخذ خبرة روحية عميقة .

خبرة لا تستطيع أن تحصل عليها فى العمل العام . فأنت تعرف خلالها طبيعة النفس البشرية وحروبها ، وما تقف أمامها من عوائق عملية فى طريق الفضيلة . وترى الفارق بين التعليم النظرى الذى يقال للجماعات، وبين شخص تكلمه فيرد عليك ، وتأخذ وتعطى معه فى الحديث . وتشرح له الفضيلة ، فيشرح لك العقبات العملية التى تقف أمام التطبيق ...

٧ - لذلك فالعمل الفردي يتميز بالناحية العملية أكثر من العمل الجماعي .

والإنسان الذي له خبرة سابقة أو حالة في العمل الفردي ، يستطيع في عمله الجماعي أو في العضات العامة أن يكون أكثر فعالية ، وأن يمس كلامه مشاعر الناس ، ويكون عملياً في تعليمه يتحدث عن الواقع الذي يعيشه السامعون ، ولا يقول كلاماً نظرياً . وفي خدمة الكهنوت ، يوجد العمل الفردي والعمل الجماعي ، كلاهما معاً :

العمل الجماعي في الصلاة العامة ، وفي العضات العامة والخدمات العامة . أما العمل الفردي ففي الإعترافات ، وفي حل مشاكل الناس ، وفي الزيارات والإفتقاد . إنه يتعامل مع الكل ، ومع كل فرد على حدة .

ومن الجائز أن العمل الفردي لا يكون مع فرد واحد . من الجائز أن يكون مع إثنين معاً ، يصلحهما أو يدبر حياتهما المشتركة ، أو يوفق خدمتهما . أو يكون العمل الفردي مع أسرة كاملة ، ولكن لها طابعها الفردي بالنسبة إلى باقي الأسرات . أو مع مجموعة من الناس ، مع مجلس جمعية مثلاً ...

مجالات العمل الفردى :

من الممكن أن يوجد عمل فردى فى مجال الأسرة .

مثلاً يقول الكتاب " أما أنا وبيتى فنعبد الرب " (يش ٢٤ : ١٥) ...
ومثلاً قال الرب عن وصاياه " قصتها على أولادك ، وتكلم بها حين
تجلس فى بيتك " (تث ٦ : ٧) . فهل أنت لك خدمة روحية وسط
أفراد أسرتك ؟ أم علاقتك بهم مجرد علاقة إجتماعية عائلية ! أم
علاقة إحتكاكات أحياناً !! هل افكرت أن توصل أخاك الصغير إلى
الله ؟ أو أن تقود أحد أقربائك إلى حياة التوبة ، أو تعلمه العقيدة
السليمة ؟ إنه عمل فردى .

يمكن أن يكون العمل الفردى فى مجال الجيران أو المعارف .
إن كنت شخصاً روحياً ، ولك جيران أو أصدقاء ، فهل
استفادوا من روحياتك ؟ هل تمر حياتك الروحية مروراً عابراً على
الآخرين ، دون أن تترك فيهم أثراً ، ويكون وجودك وسطهم بلا
ثمر ؟! هل كل أحاديثك معهم خالية من الله ؟ أم تراك تتحاشى ذلك
أو تخجل منه ، لئلا يتهموك بأنك متدين ؟!

ونفس الكلام يقال عن زملائك فى العمل أو فى الدراسة .

وأيضاً عن زملائك فى النادي ، أو فى أى نشاط اجتماعى . ما
هى خدمتك الفردية وسط كل هؤلاء ؟ هل استطعت أن تجذب أحداً

إلى طريق الله ، أو حتى أن تدعوه إلى اجتماع في الكنيسة ؟

يعجبني فيلبس ، أنه وهو سائر في الطريق ، كان له عمل عميق مع الخصى الحبشى .

قدم له الإيمان وعمده، وذهب في طريقه فرحاً (أع ٨ : ٣٨ ، ٣٩) .

وأنت كم من الناس قد قابلتهم في طريق الحياة ، دفعهم الله إلى طريقك . فهل قدمت لأحد منهم كلمة روحية ، أو أية كلمة منفعة ، أو دفعة إلى قدام ...

ما أعجب خدام الرب الحقيقيين . إنهم مميزون بشهادتهم للرب (أع ١ : ٨) . أشخاص كثيرون يتقابلون معك . واحد منهم يقدم لك علمه ومعرفته ، وآخر يقدم لك نكائه، وثالث يقدم ظرفه ولطفه ، ورابع يقدم خدمة . أما هذا النوع المميز ، فيقدم لك المسيح ، بلباقة ولطف فتشعر باشتراك المسيح معكما ...

المسيح، بلباقة ولطف فتشعر باشتراك المسيح معكما ...

قد يكون ذلك في أية مناسبة ، في زيارة ، في مرض ، في تعزية ، في معايدة ...

في لقاء عادى ، يحوله هو إلى لقاء روحى ، بأسلوب هادئ طبيعى ...

وهنا أتذكر أعماقاً مذهلة في لقاءات القديسين . لعل في مقدمتها لقاء مريم العذراء مع إليصابات . أكان لمجرد خدمة تلك العجوز في الشهور الأخيرة من حملها ؟ أم إننا نقف أمام هذه العبارة الجميلة " فلما سمعت إليصابات سلام مريم .. إمتلأت إليصابات من الروح القدس " (لوقا : ٤١) ... وكان لقاء نبوءة وكشف إلهي ، وتسبيح وكلام روحي .

ماذا أيضاً عن اللقاء بين القديس الأنبا أنطونيوس ، والقديس الأنبا بولا... وماذا عن اللقاءات بين القديسين التي كانوا يتكلمون فيها بعظائم الله ، وإسمه على ألسنتهم . وكما تقول التسبحة " اسمك حلو ومبارك في أفواه قديسيك " .


ولعلك تقول : من يسمع ؟ ومن يقبل ؟ ومن يفهم ؟
كلا يا أخى . تكلم أنت ، وأترك النتيجة إلى عمل الله في القلوب . المهم أن تتطرق بكلمة الله في حكمة . وثق أن كلمة الله لن ترجع فارغة . بل كما قال السيد الرب " هكذا تكون كلمتي التي تخرج من فمي ، لا ترجع إلى فارغة ، بل تعمل ما سررت به ، وتتجح فيما أرسلتها له " (أش ٥٥ : ١١) . إذن احرص فيما تخدم ، أن يكون الله متكلماً على فمك . أما عن النتيجة ، فاذكر قول الكتاب :
" إرم خبزك على وجه المياه ، فباتك تجده بعد أيام كثيرة " (جا ١١ : ١) .

هناك نفوس تحتاج إلى مدى زمنى ، حتى تقبل كلمة الله ،
وحتى يمكن أن تأتى الكلمة فيها بثمر... والأمر يحتاج إلى صبر
ومثابرة .

إن كل نفس تعمل معها عملاً قريباً ، لها ظروفها الخاصة ،
وعقليتها الخاصة ، ولها ماضيها وحاضرها ، وبيئتها وضغوطها ،
ولها مشاعرها وأحاسيسها ومفاهيمها . وليست كل نفس تتفهم نفس
الكلمة .

لذلك فإن العمل الفردى يحتاج إلى حكمة ، تتخير الكلام
المناسب، والأسلوب المناسب ، ونوع المعاملة .

إن كنت بصدد مشكلة معينة معروفة ، يمكن أن تطرقها بطريقة
مقبولة . أما إن كنت بصدد هدلية عامة ، فربما لا يصلح الأسلوب
المباشر الذى تفرض به العمل الروحى فرضاً ، بطريقة غالباً لا
تقبلها ولا تستسيغها النفوس التى لم تتعودها . إنما يتربص الشخص
المناسبة التى يقول فيها الكلمة الروحية بحيث تبدو طبيعية جداً غير
مصطنعة ...



لَا حِمْزَ فَنَسِيءٍ وَالشَّعْصَاعِ

(ا ق ٤ : ١٦)



لاحظ نفسك والتعليم

(١٦: ٤: ١)

من قالها ؟ ولمن ؟

من قال هذه العبارة " لاحظ نفسك والتعليم ، وداوم على ذلك . فإنك إن فعلت هذا، تخلص نفسك والذين يسمعونك أيضاً " (١٦: ٤: ١) .

القديس بولس الكارز العظيم ، الذي اختبر الخدمة في عمقها ، واختبر الحياة الروحية في عمقها ، الذي في الخدمة تعب أكثر من جميع الرسل (١كو ١٥ : ١٠) وفي الروحانيات صعد إلى السماء الثالثة ، إلى الفردوس (٢كو ١٢ : ٢ ، ٤) .. بولس هذا يكتب إلى تلميذه تيموثاوس أسقف أفسس ، الذي سكن فيه الإيمان العديم الرياء ، وفي أسرته، أمه وجدته من قبل، وهو منذ الطفولة يعرف الكتب المقدسة (٢تى ٣ : ١٥) .. يكتب إليه فيقول له " لاحظ نفسك والتعليم وداوم على ذلك . لأنك إن فعلت ذلك تخلص نفسك والذين

يسمعونك أيضاً " (أتى ٤ : ١٦) .

ومع أنه فى الأسقفية محاط بأعباء ومسئوليات ضخمة ، وبخاصة فى بلد كأفسس ، ليست الخدمة فيها سهلة إذ قال القديس بولس نفسه " حاربت وحوشاً ، فى أفسس " (١كو ١٥ : ٣٢) . ولكن على الرغم من كل مسئوليات الخدمة الملحة ، يقول له معلمه "لاحظ نفسك " .

ويقول " لاحظ نفسك " أولاً قبل التعليم ، ويرى هذا لازماً لخلاصه ولخلاص أنفس الناس " لأنك إن فعلت ذلك ، تخلص نفسك والذين يسمعونك أيضاً " ..

إنها قاعدة أساسية يقدمها الرسول للجميع ، سواء كانوا خداماً أو أشخاصاً عاديين ، ولكن الخدام يمسهم هذا الأمر بعمق أكثر . فلماذا ؟

لاحظ نفسك . لماذا ؟

لأن هناك خداماً كثيرين ، وصلوا إلى مستوى كبير من شهرتهم وفى نشاطهم وفى سعيهم وراء الآخرين . وصارت لهم أسماء رنانة ... ومع ذلك نسوا أنفسهم وضاعوا .

هم يخدمون من الخارج فقط ... ولكن داخلهم مفقود !!

بعض هؤلاء الخدام كانوا يهتمون بأنفسهم قبل أن يصيروا
خدماً . فلما بدأوا الخدمة زحف الفتور إلى قلوبهم . لأنهم ظنوا أن
مهمتهم صارت الإهتمام بالآخرين وليس بأنفسهم هم والبعض منهم
أصبحوا في مستوى أقل بكثير من مستوى أولادهم وتلاميذهم .
وهؤلاء يقول الرسول لكل منهم : " لاحظ نفسك والتعليم " ..
ولماذا؟

" لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه ؟"
(مت ١٦ : ٢٦) .

ماذا يستفيد هؤلاء الخدام الذين يميلون أنفسهم في الخدمة ، وإذا
يهملون أنفسهم يخسرون الملكوت ؟ ويظن الواحد منهم وهو في
الخدمة ، أنه قد أخذ راحيل ، ثم ينظر فإذا هي ليئة ...

خدام كثيرون وجدوا أنهم في الخدمة قد دخلت إلى حياتهم
مشاكل وصراعات وإدانات ما كانوا يعانون منها من قبل .

حقاً إن الخدمة ليست في جوهرها سبباً لكل هذه المشاكل
والصراعات ولكن الذي لا يلاحظ نفسه ، قد يصل إلى هذا الوضع
أو إلى ما يشبهه . ويجد أنه في الخدمة قد كثرت أخطاؤه ، ونبئت
خطايا جديدة لم يكن يشكو منها ، أو كانت خافية ثم ظهرت .

وربما يبدو أن الخدمة قد أصعدته إلى فوق ، بينما هو في حقيقة

الأمر قد هبط إلى أسفل ، سواء شعر بذلك أو لم يشعر !!

كلما يكبر فى الخدمة تزيد مشغوليّاته وقد تزيد أيضاً أخطاؤه وكلما تزداد مسؤولياته تمتص وقته كله ، وبالتالى يهمل نفسه ولا يعطيها الغذاء الروحى اللازم لها . وهكذا ينزلق إلى تحت . وإن نصحتّه بترك الخدمة لكيما يلتفت إلى نفسه ، يحزنه ذلك جداً ، لأن الخدمة صارت بالنسبة له كل شئ فى حياته ، لا يمكنه أن يحيا فى المجتمع بدونها وليت مثل هذا الخادم يدرك حقيقة هامة وهى :
الذى يوصل إلى الله ، ليس الخدمة بل القلب النقى ...

والخدمة الحقيقية ليست هى الخدمة التى تقل فيها روحيات الإنسان ، وتظل تقل حتى تنتهى ، لأن الإنسان عاش فيها بعيداً عن نفسه . كل همه خارجها ينسى عبارة " ملكوت الله داخلكم " (لوقا : ١٧ : ٢١) . ويحسب أن الملكوت هو خارج نفسه ، وسط الناس...!

فى عمق أعماق الخدمة ، كان القديس بولس الرسول يلاحظ نفسه ويهتم بروحيّاته . ولذلك استطاع أن يقول فى صراحة تامة :
" أقمع جسدى واستعبده ، حتى بعدما كررت للأخرين ، لا أصير أنا نفسى مرفوضاً " (١كو ٩ : ٢٧) .

ما أخطر هذه العبارة وما أوجعها أن يصير إنسان مرفوضاً من

الله ، على الرغم من كرازته للآخرين .. يصير كالجسر الذى يوصل من شاطئ إلى شاطئ بينما هو قابع مكانه لا يتحرك ، ولا يصل إلى الشاطئ الآخر .. أو يصير كأجراس الكنائس التى تدعو الناس أن يدخلوا إلى الأقداس دون أن تدخل هى ...

" لينك تخاف من عبارة " لنأأ أصير أنا نفسى مرفوضاً " !

إنن لاحظ نفسك لأن هناك خداماً حياتهم الروحية لها شكل هرمى يرتفع أولاً حتى يصل إلى قمته ، ثم ينحدر إلى أسفل نازلاً من ارتفاعه ..!

يصبح وقتهم ليس لهم ، واهتمامهم أيضاً ليس لهم ، وكذلك عاطفتهم .. كل الوقت والاهتمام والعاطفة يتحول إلى ما يسمونه الخدمة ! أما روحياتهم الخاصة ، فلا يجدون لها وقتاً على الإطلاق، ولا توجد رغبة فى قلوبهم للإهتمام بها ..! وربما يظن بعضهم أن هذا لون من بذل الذات لأجل الآخرين !

بذل الذات فضيلة بلاشك . ولكن بذل الروحيات خطيئة وضياع..

ويوحنا المعمدان : عندما قال " ينبغي أن ذاك يزيد وأنى أنا أنقص " (يو ٣ : ٣٠) . لم يقصد مطلقاً أنه ينقص فى الروحيات أو فى محبة الله ! كلا ، بل ينقص من جهة الكرامة والخدمة

والظهور. أما روحانيته فكانت تزيد باختفائه لكي يظهر المسيح مكانه ، ويتولى دفة الكنيسة بنفسه ، يتسلم العروس .. وهكذا كان يوحنا يزيد فيما كان يبدو أنه ينقص ! .. كان يزيد في إتضاعه وفي محبته لله وفي إيمانه بالمسيح وعمله ..

لاحظ نفسك . فإن وجدت روحانيتك تقل في محيط الخدمة ، اتخذ موقفاً لانتقاد نفسك :

لا تقطع من روحانيتك لكي تعطى للخدمة وأيضاً لا تقطع الخدمة وتوقفها من أجل روحانيتك .. إنما اقتطع من الوقت الضائع وقدمه لروحانيتك ، واقتطع أيضاً من مشغولياتك العالمية أو العلمانية لكي تهتم بروحانيتك . قم من غفلتك هذه ، وافهم الخدمة على حقيقتها إنها ليست دوامة تدور فيها نفسك ، دون أن تعرف أين أنت !

أمثلة للضياع في الخدمة :

تحت هذا العنوان نقدم نوعين : نقدم أمثلة من أشخاص ، وأمثلة من أخطاء .

الإبن الضال الكبير (لو ١٥) كان مثلاً واضحاً حينما رفض أن يشترك في الفرح برجوع أخيه ، بل احتج على ذلك ، وكلم أباه بروح الإنتقاد والشكوى والتذمر ، قائلاً له " ها أنا أخدمك سنين

هذا عددها، وقط لم تعطني جدياً لأفرح به مع أصدقائي، وإينك هذا"
وإذا به بعد سنين هذا عددها في الخدمة ، يصل إلى هذا
المستوى الساقط !

فهو مركز حول ذاته ، وهو ساخط على وضعه ، ويقارن نفسه
بأخيه ، ويغضب لأن أخاه في موضع الرضى وقد فرح به كل أهل
البيت .. بينما هو ليس في شركة مع الأب !
وما أكثر الخدام الذين يعيشون في نفس هذه المشاعر ، على
الرغم من طول خدمتهم . لذلك يقول الرسول لكل منهم : لاحظ
نفسك ...

في الخدمة أيضاً سقط سليمان مع أنه كان من قبل ممثلاً
حكمة..

وكان قد بدأ خدمته بروح عجيبة ، وقام بأعمال عظيمة .
وترأى له الله مرتين : في جبعون وفي اورشليم . ولكنه إذ لم
يلاحظ نفسه سقط (امل ١١) . وأبوه داود أيضاً الذى حل عليه
روح الرب (اصم ١٦) ، وكان رجل صلاة ومزامير ، إذ لم يلاحظ
نفسه لما كبر في الخدمة ، سقط أكثر من مرة ، و تاب ...

ديماس كان خادماً كبيراً من أعوان بولس الرسول ، وإذا لم
يلاحظ نفسه سقط وانتهى (أتى ٤ : ١٠) . ونيقولاوس كان أحد

الشماسة السبعة المملوئين من الروح القدس وسقط !

هناك أمور عديدة يسقط فيها الخادم الذى لا يلاحظ نفسه ، وفى مقدمتها الكبرياء .

الخادم الروحى يحتفظ بتواضع قلبه ويحب كل حين أن يتعلم ويزداد معرفة . ولكن يحدث أن البعض حينما يكبرون تكبر قلوبهم ، ويفقدون تلمنتهم . ثم يعتزون برأيهم الخاص وبأفكارهم الخاصة . ولا يسترشدون بأحد . وقد يسألون أحياناً أحد المرشدين لمجرد معرفة رأيه ، دون التقيد بالسير حسب هذا الرأى ؟

ثم يتطورون من حب التعلم واستلھام الطريق إلى المناقشة والمجادلة ، ثم إلى المعارضة والتشبت بالرأى ، ثم إلى الإدانة وتحطيم الغير .

وبعضهم قد ينتهى به الأمر إلى التآله ، فيقدم فكره وكأنه عقيدة ولا يقبل مناقشة فيه ولا يحتمل معارضة ويثور على كل من يخالفه فى شئون الخدمة . ويأتى وقت قد يفرض فيه رأيه فرضاً . ويصف كل من يخالف هذا الرأى بالعناد والعصيان . . أليس من الأصلح لمثل هذا الخادم أن يلاحظ نفسه أولاً ليرى أين هو؟ وإلى أين يسير ؟!

وكثير من الخدام كلما كبروا ، يلاحظ أن أعصابهم قد ضعفت ،

واصبحوا يثورون !

تكثر أنتهاراتهم للغير ، ويكثر توبيخهم وغضبهم . ولا يعودون
يحتملون أخطاء الغير . وإن نبهوهم إلى هذه الأخطاء ، يكون
توبيخهم في عنف ، وربما بأسلوب جارح وفي غير إحترام
لشعورهم ! وتكثر إدانتهم للآخرين . وفي كل ذلك يفقدون وداعتهم
 ويفقدون إتضاعهم ..

وتضيع صورتهم البشوشة ومعاملتهم الطيبة ...

وبعض هؤلاء يكثر صياحه ويعلو صوته ، ويكثر أمره ونهيهِ
ويملكه روح التسلط .

ومثل هذا يحتاج بلاشك إلى عبارة " لاحظ نفسك " قوانين
الكنيسة تشترط في الأسقف أنه لا يكون غضوباً . وهذا هو تعليم
الكتاب أيضاً (تى ١ : ٧) . وهذا الوصف أيضاً للقسوس والشمامسة
وكل الخدام ...

كيف تلاحظ نفسك :

١ - ضع هذا في فكري وقلبك باستمرار أنك تهتم بنفسك
وأبديتك . وأن النعيم الأبدى لا يمكن أن تتأله إلا بنقاوة القلب
وعمق صلواتك بالله . وأنت إن خسرت نفسك خسرت كل شيء وإن

ربحتها ربحت كل شيء .

٢ - واعرف أنك إن لاحظت نفسك سوف تلاحظ التعليم أيضاً. بل إن نفسك ذاتها هي التعليم . هي الدرس والقوة والعظمة والنموذج الحي ..

الأم والأب هما أول درس يتلقاه الطفل في حياته الروحية . والزوجة المتدينة هي درس عملي لزوجها .. تجذبه معها إلى الله والخادم أو المدرس هو الدرس والقوة بالنسبة إلى أولاده وتلاميذه. يتعلمون من حياته أكثر مما يتعلمون من عظاته ...

٣ - لذلك إن أردت أن تهتم بتلاميذك وتهتم بالتعليم ، ضع أمامك قول الرب :

" من أجلهم أقديس أنا ذاتي ، ليكونوا هم أيضاً مقدسين في الحق " (يو ١٧) .

وطبعاً هذه العبارة تؤخذ على الرب بمعنى ، وعلى الخدام بمعنى آخر . المهم أن تتقدس حياتك للرب كلما تكون خدمتك ناجحة ومثمرة . لأنك لا يمكن أن تعطى غيرك من فراغ . وإنما كن كما نقول دائماً في مجال الخدمة " لا يفيض إلا الذي إمتلأ " . فلكي تفيض على غيرك ينبغي أن تمتلئ أولاً ...

٤ - ولكن لا يكن غرضك من الإمتلاء هو أن تفيض على

غيرك . إنما امتلئ لأن هذا الإمتلاء متعة روحية لك ..
إمتلئ بالحب ، إمتلئ بالروح ، إمتلئ بالمعرفة ، لأن الحب هو
حياتك وفكرك . ومعرفة الله هي أعمق معرفة تغذى الروح
وتعطيها متعة روحية ، هنا وفي الأبدية (يو ١٧ : ٣) . إقرأ من أجل
روحياتك ، وليس لكي تحضر درساً ، أو لكي تنفع الآخرين
بمعلوماتك !

٥ - وعندما تلاحظ نفسك ، لاحظ أفكارك ومركز الله فيها .
استوقف عقلك بين الحين والحين ، لكي تعرف أين تجول
أفكارك . وإن سرحت أعرف في أى موضوع تسرح ولماذا ؟
وماذا تختبئ وراء ذلك من مشاعر . وتذكر أن الأب الكاهن يسأل
للشعب في القداس الإلهي ويقول لهم : " أين هي عقولكم ؟ "
فيجيئون قائلين " هي عند الرب " ليت هذه الإجابة تكون صادقة
وسليمة في كل وقت . ولتكن لك باستمرار يقظة العقل ...
وإن سرحت بك أفكارك ، اجمعها بسرعة وقل لنفسك أنا
اضطجعت ونمت ثم استيقظت " (مز ٣) . وليتك تقول في ذلك أيضاً
" أنا استيقظ مبكراً " (مز ٥٦) .

٦ - وكما تلاحظ أفكارك ... لاحظ حياتك كلها وتصرفاتك ...
لاحظ تعاملاتك مثلاً مع الناس ... ولاحظ مدى روحانية

تصرفاتك . وفي كل خطوة تخطوها إسأل نفسك - أين أنا الآن ؟
حاسب نفسك جيداً . بدون تبريرات وبدون أعذار ولا تجامل
ذاتك في أمر من الأمور وأذكر قول القديس مقاريوس الكبير "احكم
يا أخى على نفسك قبل أن يحكموا عليك ..

٧ - لاحظ أيضاً أهدافك وكذلك وسائلك :

هل لك أهداف عالمية ؟ هل ذاتك هي أهم أهدافك ؟ أم لك هدف
واحد هو الالتصاق بالله . ومعه لا تريد شيئاً على الأرض ؟ وهل
انحرفت بك الأهداف ؟ هل أصبح من أهدافك المال أو الشهرة أو
السلطة أو العظمة أو الترف أو مجرد العلم والمعرفة ؟

وما هي الوسائل التي تحقق بها أهدافك ؟ أهى وسائل روحية ؟
أم دخل فيها التحايل والخطأ ؟

٨ - لاحظ مستواك : أهو المستوى الجسداني ؟ أم المستوى
الروحي ؟ أم الإجتماعي ؟

قد تكون فضائلك كلها إجتماعية لا دخل للروح أو لمحبة الله
فيها . وقد تكون مجرد فضائل جسدانية بلا روح . وربما لا تكون
قد وصلت إلى هذا المستوى أو ذاك . فليتك تعرف أين أنت ؟
وتعرف مدى ممارستك لوسائل النعمة .

٩ - لاحظ أيضاً أخطاءك .. لا تجعلها تمر عليك سهلة ... أو

بدون علاج ..

الإنسان الروحي قد يسقط ، ولكنه يدرك سقطته ويندم عليها .
وبسرعة يقوم . كما أنه يحتاط للمستقبل حتى لا يتكرر سقوطه .
فهل أنت كذلك ؟ أم أنك تسقط وتستمر في سقوطك . وقد تتحول
إلى أسوأ . أو قد تتأقلم مع الأخطاء وتصبح عادات لك . أو تدخل
في طباعك فتتطبع بها . وتحاول أن تفلسفها . وتبررها كسلوك
سوى .. !

١٠ - لاحظ نفسك أيضاً من جهة النمو الروحي .

الحياة الروحية هي رحلة نحو الكمال .. يتقدم فيها الإنسان
باستمرار . حتى يصل إلى الصورة الإلهية التي خلق بها (تك ١ :
٢٧) . فهل أنت في كل يوم تمتد إلى قدام ؟ أم وصلت إلى مستوى
معين في الروحانيات وتجمدت عنده ؟ أنظر إلى نفسك ؟ هل أنت
سائر في الطريق الروحي ؟ أم أنت واقف ؟ أم أنت راجع إلى
الخلف ؟

وهل تنمو من جهة الكمية والنوعية ؟ أم هو نمو شكلي ؟ كمن
يزيد عدد صلواته ، ولكن بغير عمق ، بغير روح ، بغير فهم ولا
تأمل ، بغير حرارة ولا خشوع ، بغير إيمان بغير إتضاع !!

لاحظ نفسك والتعليم :

والتعليم ليس مجرد رسميات . والخدمة كذلك ليست هي وظيفة .
الدين هو حب ينتقل من قلب إلى قلب ، وإيمان يتسلمه جيل من
جيل .. والدين هو قدوة تنتقل من حياة إلى حياة ، وهو ملكوت الله
ينتشر وينمو . وهو غير مقدسة تشتعل في قلب فتشعل بلهبها
قلوباً أخرى ... والخادم الروحي هو إنسان إلتصق بالله " والله
محبة " فامتلاً بالحب نحو الله والناس .

هذه هي الخدمة التي ينبغي أن تلاحظها . ومن جهة التعليم
فينبغي أن يكون تعليماً سليماً ، كما قال القديس بولس لتلميذه تيطس
" تكلم بما يليق بالتعليم الصحيح " (تى ٢ : ١) . فلا يكن تعليمك فكراً
شخصياً ، ولا تعليماً منحرفاً ، ولا مجرد عقيدة أبتكرتها . فتعدد
مدارس التعليم أوجد البدع والهرطقات .

وكما يكون تعليمك سليماً ، ينبغي أن يكون أيضاً تعليماً دسماً
يشبع سامعيك . كما يجب أن يكون مناسباً لهم ، متدرجاً مع
مستواهم . ويكون تعليماً نقياً من الشوائب ومن التوبيخ . يشعر كل
من يسمعه أن الروح هو الذى يتكلم على فمك ، وهو الذى أعطاك
ما تتكلم به .

لاحظ التعليم الذى تعلمه لغيرك بحيث يكون تعليمًا كتابيًا يستند على كلمة الله التى تحكمك للخلاص (٢تى ٣: ١٥) . وكما قال القديس الأنبا أنطونيوس " كل ما تقوله ينبغى أن يكون لك عليه شاهد من الكتب " .

وليكن تعليمك أيضاً تعليمًا رسولياً حسب التقليد الذى تسلمناه من الآباء (٢تى ٢: ٢) ، ليكن تعليمًا أبائياً حسبما تعلمناه من آبائنا القديسين . لا تعتمد على فكرك الخاص ، لئلا تضلّك الأفكار . وكما قال الكتاب " وعلى فهمك لا تعتمد " (أم ٣ : ٥) . وإنما انظر ماذا قال آباؤنا الذين تكلموا بالروح .

وليكن تعليمك أيضاً كاملاً . فلا تذكر أنصاف الحقائق ، واحذر من خطورة استخدام الآية الواحدة . فالكتاب كله تعليم متكامل ... وليكن تعليمك أيضاً مؤثراً وجذاباً ، ومشوقاً لسامعك . وفرح به تلاميذك " كمن وجد غنائم كثيرة " (مز ١١٩) ... تمتصه الروح فى بهجة قلب ، ويشع به الفكر .

وإن لاحظت نفسك والتعليم ، ماذا تكون النتيجة ؟

تخلص نفسك :

لا تنس نفسك وسط اهتمامك بالآخرين وتعليمهم . وينبغى أن تشعر أنك تحتاج إلى التعليم مثلهم ، وتسعى إلى الخلاص أيضاً

مثلهم إن كانت القديسة العذراء قد قالت " تبتهج روحى بالله مخلصى " (لوقا : ١ : ٤٧) . فماذا تقول أنت عن نفسك ؟

أنت محتاج إلى الخلاص أيضاً ، كما كان يحتاج إليه القديس تيموثاوس الأسقف الذى كتب له هذه العبارة . ولا تظن أن عملك فى الخلاص هو خاص بخلاص الآخرين ، وإنما بنفسك أيضاً . لذلك لاحظ نفسك ، لكى تتم خلاصك بخوف ورعدة كما يقول الرسول (فى ٢ : ١٢) . وأنصت إلى القديس بطرس وهو يقول "سيروا زمان غربتكم بخوف " (ابط ١ : ١٧) .

إنك لا تستطيع أن تعمل على خلاص غيرك ، طالما أنت نفسك لم تسر فى طريق الخلاص بعد ، ولا يمكنك أن تعلم غيرك التدقيق فى الحياة الروحية ، إلا إن كنت أنت نفسك مدققاً ، أعنى إن كنت تلاحظ نفسك ، وتلاحظ كيف تطبق التعليم فى حياتك الخاصة ... وحينئذ كما تلاحظ نفسك وتعمل على خلاصها . فإنك أيضاً :

تخلص الذين يسمعونك :

أى تقودهم فى طريق الخلاص ، بالتعليم السليم ، وبالقوة الصالحة التى تقدمها لهم فى ملاحظتك لنفسك وإهتمامك بها ... فيقلدون حياتك وسيرتك ، كما كان يفعل القديس تيموثاوس بالنسبة

إلى معلمه القديس بولس الرسول (٢تى ٣: ١٠، ١١) .

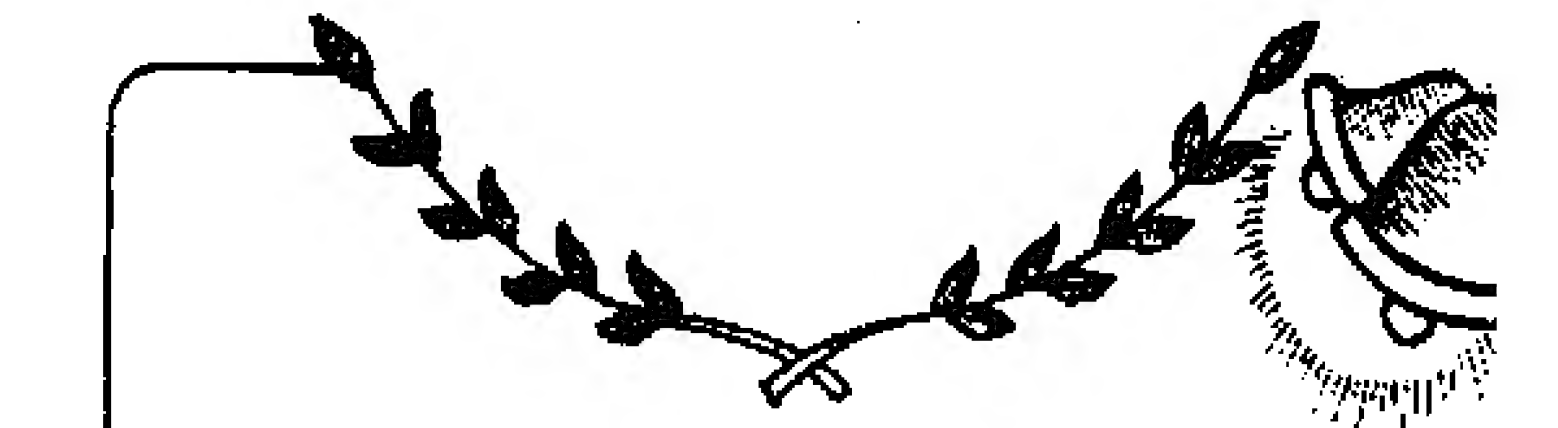
هذا هو السلوك السليم الذى ينبغى أن يسلكه كل خادم .

أما الذى لا يهتم بنفسه ، ولا بالتعليم ، فإنه يضيع نفسه والذين يتعلمون عليه أيضاً .

فإن لاحظت نفسك والتعليم ، استمر هكذا ، وكما يقول الرسول:

داوم على ذلك :

لأن كثيرين بدأوا خدمتهم باهتمام وحرص، ثم فتروا فى حياتهم، وفترت خدمتهم أيضاً ، وفتر تأثيرهم على غيرهم !! أما أنت يا رجل الله فلا تكن هكذا . وإنما لاحظ نفسك والتعليم ، وداوم على ذلك . ولتكن روحك مشتتة بالحب الإلهى ، وينقل هذا الحب إلى الآخرين .



الدرموج في الخدمة

الجبرية في الخدمة



الدموع في الخدمة

لعل من أشهرها دموع أرميا النبي .

هذه التي سجلت في سفر كامل ، من الأسفار المقدسة دعى (مراثى أرميا) .

والذي يشمل صلوات كثيرة ، كلها تنهد وحسرة ، كأن يقول :
"أنظر يارب ماذا صار لنا . وأنظر إلى عارنا . قد صار ميراثنا للغرباء .. صرنا بلا أب، أمهاتنا كأرامل" (مراثى ٥ : ١ - ٣) .
ويقول أيضاً " مضى فرح قلبنا . صار رقصنا نوحاً . من أجل هذا حزن قلبنا . من أجل هذه أظلمت عيوننا .. لماذا نتسانا إلى الأبد وتتركنا طوال الأيام . أرددنا يارب فنرتد . جدد أيماننا كالقديم . هل كل الرفض رفضتنا ؟!" (مراثى ٥ : ١٥ - ٢٢) .

ويشرح في هذا السفر بكاء مملكة يهوذا فيقول :

" على هذه أنا باكية . عيني عيني تسكب مياهاً . لأنه قد ابتعد عني المعزي ، راذ نفسي " (مراثى ١ : ١٦) " كَلَّتْ من الدموع عيناى . غلت أحشائى " (مراثى ٢ : ١١) . " سكبت عيناى ينابيع ماء على سحق

بنت شعبي . عيني تسكب ولا تكف بلا إنقطاع ، حتى يشرف
وينظر الرب من السماء " (مرا ٣ : ٤٨ - ٥٠) .

هنا بكاء بلا إنقطاع ، وبلا عزاء ، حتى تعبت العين من
البكاء ، وشعور بأن الله قد ترك النفس أو نسيها أو رفضها !!
وصلاة .. مع صلاة إليه أن يرجع ١٧ .

٢ - ولعل من الأمثلة أيضاً بكاء المسبيين عند أنهار بابل .
وفي ذلك يقول المرتل :

" على أنهار بابل هناك جلسنا ، فبكينا عندما تذكرنا صهيون .
على الصفايف في وسطها علقنا قيثاراتنا . لأن هناك سألنا الذين
سبونا أقوال التسبيح ... كيف نسبح تسبحة الرب في أرض
غريبة ١٨ " (مز ١٣٦) .

٣ - ومن الأمثلة أيضاً بكاء نحميا لما سمع أخبار سيئة عن
أورشليم .

فقال : فلما سمعت هذا الكلام ، جلست وبكيت ، ونحت أياماً
وصمت وصليت أمام إله السماء " (نح ١ : ٤) .

وفي صلاته أعترف بخطايا كل الشعب ، وطلب من الرب
رحمة ، مذكراً إياه بمواعيده للآباء .

٤ - ونفس الوضع بالنسبة إلى عزرا الكاهن ، لما عرف

خطايا الشعب . فبكى وأبكى الشعب معه .

وفى ذلك يقول الكتاب " فلما صلى عزرا ، واعترف وهو باكٍ وساقط أمام بيت الله ، اجتمع إليه من إسرائيل جماعة كثيرة جداً من الرجال والنساء والأولاد . لأن الشعب بكى بكاءً عظيماً " (عز ١٠ : ١) .

وفى غير المراثى ، يقل أرمياء النبي فى سفره :
" يا ليت رأسى ماء ، وعينى ينبوع دموع ، فأبكى نهاراً وليلاً
فقتلى بنت شعبى " (أر ٩ : ١) .

هـ - وقد بكى دانيال النبي أيضاً من جهة سنوات السبى :
وقال فى ذلك " فوجهت وجهى إلى الله السيد طالباً بالصلاة
والتضرعات ، بالصوم والمسح والرماد . وصليت إلى الرب إلهى
واعترفت وقلت .. أخطأنا وأثمنا، وعملنا الشر، وتمردنا وحدنا عن
وصاياك وأحكامك .. " (دا ٩ : ٣ - ٥) .

" فى تلك الأيام ، أنا دانيال كنت نائحاً ثلاثة أسابيع أيام، لم أكل
طعاماً شهياً ، ولم يدخل فى فمى لحم ولا خمر، ولم أذعن، حتى
تمت ثلاثة أسابيع أيام " (دا ١٠ : ٢ ، ٣) .

وهنا نرى البكاء مصحوباً بالصلاة والصوم والزهد والإعتراف
بالخطايا .

٦ - من أمثلة البكاء فى الخدمة بكاء ميخا النبى " من أجل إثم يعقوب ومن أجل خطية بيت إسرائيل " (مى ١ : ٥) . وفى هذا يقول :

" من أجل ذلك أنوح وأولول . أمشى حافياً وعرياناً . أصنع نحيباً كبنات آوى ، ونوحاً كرعاة النعام . لأن جراحاتها عديمة الشفاء . لأنها قد أتت إلى يهوذا .. " (مى ١ : ٨ ، ٩) .

٧ - ولعل فى قمة البكاء فى الخدمة بكاء ربنا يسوع المسيح على اورشليم :

وفى ذلك يقول الكتاب " وفيما هو يقترب ، نظر إلى المدينة وبكى عليها قائلاً .. فإنه ستأتى أيام ، ويحيط بك أعداؤك بمتروسة .. ويهدمونك وبنيك فيك ، ولا يتركون فيك حجراً على حجر .. " (لوقا ١٩ : ٤١ - ٤٤) .

٨ - ومن أمثلة البكاء أيضاً بكاء بولس الرسول فى الخدمة : فإنه يقول لكهنة أفسس " أنتم تعلمون من أول يوم دخلت آسيا ، كيف كنت معكم كل الزمان ، أخدم الرب بكل تواضع ودموع كثيرة وبتجارب أصابتنى من مكاييد اليهود " .

" لذلك اسهروا ، متذكرين أنى ثلاث سنين ليلاً ونهاراً ، لم أفتر أن أنذر بدموع كل أحد " (أع ٢٠ : ١٩ ، ٣١) .

وحتى في رسائله يقول لأهل كورنثوس " لأنى من حزن كثير
وكأبة قلب ، كتبت إليكم بدموع كثيرة ، لا لكى تحزنوا ، بل لكى
تعرفوا المحبة التى عندى ولاسيما من نحوكم " (٢كو٢ : ٤) .

٩ - وبالمثل كان تلاميذ القديس بولس فى بكائهم .

فهو يرسل إلى تلميذه تيموثاوس ويقول له " .. أذكرك بلا
انقطاع فى طلباتى ليلاً ونهاراً ، مشتاقاً أن أراك ، ذاكراً دموعك "
(٢تى ١ : ٤) .

أسباب البكاء فى الخدمة :

القلب الحساس يتأثر من حالة الناس المخدمين .

يتأثر إذ يتذكر خطاياهم . كيف ضعفوا وكيف جرحوا قلب الله .
ويتأثر بنتائج الخطية ، وما جلبته من متاعب ومن ويلات .. أو
بما سوف تجلبه من غضب الله .

بل قد يتأثر فيما هو يوبخ على الخطايا، متذكراً ضعفه هو
أيضاً، وأنه ما كان يريد أن يوبخ ، فينذر بدموع ...

وقد يبكى الإنسان فى الخدمة ، طالباً معونة الله ، أو طالباً
رحمته ومغفرته . أو يبكى وهو يعرض على الله فى صلاته ، ما
وصل إليه الأمر من ضياع .

يبكى الإنسان فى الخدمة شاعراً بضعفه ، ومتوسلاً إلى الله أن

يتدخل ، لأن الأمور لا تحل بدونه .

أو قد يبكي من شدة المشاكل ، ومن ضغط العدو عليه ، أو من

شماتة العداء وتعييرهم ، كما قال داود النبي :

" صارت لي دموعي خبزاً نهاراً وليلاً ، إذ قيل لي كل يوم أين

إلهك ؟ هذه أذكرها فاسكب نفسي على ... " (مز ٤٢ : ٣ ، ٤) .

الجدية في الخدمة

الخادم الناجح هو الذى يتميز بالجدية فى الخدمة ...

وهذه الجدية تشتمل على عناصر كثيرة منها :

١ - إن الكنسية قد إهتمته على هذا الطفل أو هذا الشاب .

فى مرحلة معينة من العمر لها خصائصها ، فهو المسئول عن تعليمه وعن تقديم القدوة له فى هذه المرحلة . وإن أهمل فى ذلك ، يكون قد ضيع تلك المرحلة عليه .

إن تلميذه أمانة فى عنقه سيقدم عنه حساباً : أمام الله ، وأمام الكنيسة ، وأمام أب إعترافه ، وربما أمام أسرة هذا التلميذ أيضاً .

٢ - عليه أن يكون جاداً فى تحضير الدرس ، وفى تحضير نفسه لهذا اللقاء .

إننى ألاحظ كثيراً من الخدام المبتدئين يكونون جادين فى تحضير الدروس شاعرين بعجزهم عن التدريس بدون تحضير . أما الذين يهملون تحضير الدروس ، فهم الكبار ، والخدام القدامى ، وأحياناً بعض رتب الكهنوت .. إذ يظنون أنهم قد كبروا عن مستوى

التحضير . وقد يدخلون إلى الدرس أو إلى العظة بدون حتى ترتيب أفكارهم . والسامعون يدركون تماماً إن كان الموضوع قد سبق تحضيره أم لا ... ربما المعلومات غير منظمة ، غير مرتبة ، الأفكار ناقصة ، الآيات غير جاهزة .. إلخ .

على الأقل إن كانت لديك معلومات سابقة ، تحتاج أن تجمعها وترتيبها وتقدمها في أسلوب سهل ، وتجمع ما يناسبها من قصص وآيات وتداريب .

٣ - الإنسان الجاد في خدمته ، جاد أيضاً في الإفتقاد .

لأن الخدمة ليست مجرد درس يلقي ، إنما يلزم إفتقاد كل طالب ، وبخاصة الذين يغيبون أو يكثر غيابهم .

٤ - ويحتاج الأمر أيضاً إلى الجدية في حل مشاكل المخدمين

يسبق ذلك بلاشك التعرف عليها . وقد يحتاج الأمر إلى العمل

الفردى مع البعض على الأقل ، وتحويل الكبار إلى أب إعتراف .

ومشاكل المخدمين تنقسم إلى قسمين : مشاكل عامة تتعلق بهذه

المرحلة من السن ، ومشاكل خاصة لكل مخدم على حدة ، قد

تحتاج إلى مساهمة في حلها ، إن لم يكن بطريق مباشر ، فعلى

الأقل بطريق غير مباشر .

٥ - أيضاً الجدية في استخدام وسائل الإيضاح المتاحة .

سواء من الصور ، أو الأفلام ، أو الشرائح ، أو الكتب
المصورة ، أو الخرائط .. إلخ . وهنا ننقل من جدية الخادم في
الخدمة إلى جدية الفرع كله ، بما في ذلك الكنيسة ، والأمين العام
للخدمة والأمين المساعد للمرحلة ...

٦ - الجدية في الخدمة ، تحتاج إلى صلاة .

صلاة من أجل الأولاد ، من أجل مشاكلهم ، ومن أجل الدرس
وتأثيره ، من أجل الحالات الخاصة ، من أجل الخادم نفسه أن
يعطى كلمة عند إفتتاح فمه .

٧ - الجدية في الخدمة ، تشمل الجدية أيضاً في قدوة الخادم .
أولاً يكون بلا عثرة أمامهم ، بلا خطأ واضح .. وثانياً يكون
قدوة طيبة ، ويحرص على ذلك ، ويكون مدققاً في كل شئ ...
وحرصاً في روحياته .

٨ - الخادم الجاد يحرص على نمو الخدمة .

نمو في عدد الحاضرين ، ونمو في روحياتهم ، وفي معرفتهم ،
وفي ممارستهم للوسائل الروحية .

وبالنسبة إلى خدمة الشباب ، حينما ألاحظ نقص المكرسين ،
ونقص الذين يقدمون للكهنوت ، أشعر أن الخدمة لم يصل نموها
إلى هذا المستوى ، ووقفت عند حد معين لم تتعداه .

٩ - تظهر جدية الخادم في مدى إخلاصه للخدمة .

مدى مواظبته عليها ، ومدى حبه للمخدومين ، ومدى حرصه على تعليمهم وتدريبهم ، ونموهم روحياً . وإشرافه على سلوكهم ، وملاحظة الأخطاء والعمل على تلافيها ، ومعالجة التلاميذ المشاكسين واحتضانهم ، وملاحظة أن دروسه لها تأثير في حياتهم.

١٠ - والخادم الجاد لا تقتصر خدمته على الدرس .

إنما يهتم أيضاً بالعلاقة الخاصة بأولاده ، والأنشطة اللازمة لهم، وما يلزمهم في حياتهم الخاصة ، ومراعاة مدى نجاحهم في دراستهم ، ومدى توفيقهم في حياتهم العائلية .

الخدمة ... والفتور



إذا فترت حياتى الروحية ، هل أترك الخدمة أم أستمر ؟



نحن لا نستطيع أن نجعل خدمة أحد الفصول فى التربية الكنسية تتذبذب بسبب حالة الفتور التى قد تصيب الخادم أحياناً . ولكن مادام الفتور لا يعطى روحانية للخدمة ، فالقاعدة هى :

إن كنت فى حالة فتور ، فلا تترك الخدمة ، بل أترك الفتور .
هذا ومن المعروف أنه قد لا يوجد أحد فى حرارة مستمرة ،
ومن الممكن أن يتعرض كل أحد للفتور ، فمن النافع جداً النظام
الموجود فى كثير من الفروع : وهو دخول خادمين معاً فى فصل

واحد يعين كل منهما الآخر .

ونقدم بعض النصائح للخادم في فترة فتوره :

١ - إذا فتر الخادم ، فلتسحق نفسه أمام الله ، ولتكثر

صلاته ، ولتكن في عمق ...

تسحق نفسه في شعور بعدم الإستحقاق ، وفي توبخ على فتورها .. ويرفع قلبه إلى الله قائلاً " ليس عندي يارب ما أعطيه لهم ، فأعطني أنت ما تريد أن تقدمه لهم ... ليس يارب من أجل ، بل من أجلهم ، أنقذني من هذا الفتور ، ولو في ساعة تدريسي لهم فقط ... حتى لا يكون تدريسي لهم مضيعة لوقتهم ، وعثرة لهم ...

٢ - وليحاول الخادم أن يتخذ من الدرس علاجاً لفتوره .

فالدرس في التربية الكنسية ، ليس هو من أجل التلاميذ فقط ، وإنما هو من أجل الخادم أيضاً . فليجاهد الخادم من أجل أولاده . وليضع أمامه تلك الآية الجميلة " من أجلهم أقدم أنا ذاتي ، لكي يكونوا هم أيضاً مقدسين في الحق " (يو ١٧ : ١٦) .

وليوبخ نفسه قائلاً : ما ذنب هؤلاء الصغار ، أن يكون مدرسهم

في حالة من الفتور كما أنا الآن .

٣ - وهكذا يقود نفسه إلى التوبة .

ولا يسمح أن حالة الفتور يطول وقتها معه . بل يبحث عن

أسبابها ، ويعمل على معالجة نفسه منها . وإن كان السبب هو
التقصير في وسائط النعمة ، عليه أن يعود إليها بنشاط ... وإن كان
السبب هو خطية رابضة قد أفسدت عليه روحياته ، فليتب عنها .
٤ - وليعرف أن الفتور خطر عليه ، سواء كان يخدم أم لا
يخدم .

فتركه للخدمة ليس علاجاً له ولا للخدمة إذن لابد أن يعالج
الفتور في حياته ، أولاً من أجل نفسه . وليعلم أن السيد المسيح
علمنا أن نشهد له في اورشليم ، قبل السامرة وإلى اقصى الأرض .
وأورشليم هنا ترمز إلى حالة القلب من الداخل .

٥ - وليعرف أن كثيرين من الذين تركوا الخدمة بسبب
فتورهم ، ضاعوا .

لأن الخدمة في حد ذاتها هي واسطة من وسائط النعمة ،
تعطيهم الفرصة لقراءة الكتاب والتأمل فيه ، وللوجود في وسط
روحي له تأثيره . كما أن البقاء في الخدمة يساعد على تبكيث
النفس وعودتها إلى الله وربما تكون الخدمة هي الخيط الذي يربطه
بالله في حالة فتوره . وإن فقد ، قد يفقد الدافع الروحي إلى التوبة .

٦ - ولقد جرب بعض الخدام ، في حالة فتورهم - فائدة صلاة
الأطفال لأجلهم .

يمكن في إتضاع أن يقول لأولاده " أنا يا أولاد محتاج
لصلواتكم. فأرجوكم أن تصلوا طول الأسبوع من أجلى " ...
وصلاة الأطفال لها مفعول عجيب ، وبخاصة لو كانت تربطهم
بمدرسهم مشاعر حقيقية من المحبة .

وعليه، - في نفس الوقت - أن يشارك الأولاد في الصلاة من
أجل نفسه . ولا يترك عائقاً عملياً في حياته يعوق الإستجابة .
حتى إن لم يصل الأولاد لأجله ، فمن أجل تواضعه وطلبه
لصلواتهم ، قد يرفع الله هذا الفتور عنه .

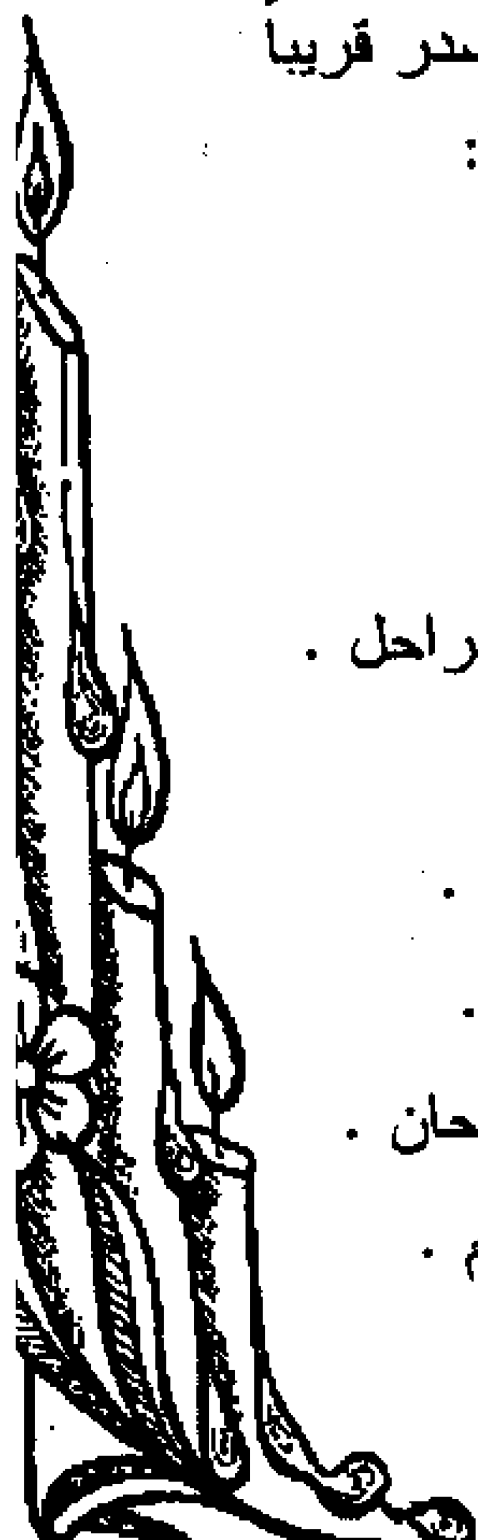


الجزء الرابع

كيف تقدم

يشمل هذا الجزء - الذى نرجو أن يصدر قريباً
موضوعات عملية فى الخدمة ، منها :

- ١ - مناهج ابتدائى ، وإعدادى ، وثانوى .
والأسس التى بنيت عليها .
- ٢ - طفل الحضانة والطفولة المبكرة .
- ٣ - طريقة تدريس العقائد على مستوى المراحل .
- ٤ - معاملة الطفل المشاكس فى فصلك .
- ٥ - النشاط الصيفى . ٦ - نادى الكنيسة .
- ٧ - اجتماع الخدام : أسباب نجاحه وفشله .
- ٨ - تداريب للحفظ . ٩ - التراتيل والألحان .
- ١٠ - مشكلة العدد . ١١ - إعداد الخدام .
- ١٢ - الإفتقاد .
- ١٣ - الأنشطة فى التربية الكنسية .





كثيرون سقطوا
وهم في الخدمة
وبعضهم هلكوا



كثيرون سقطوا وبعضهم هلكوا

وهم داخل الخدمة

لا تظن يا أخى الخادم أن كل الذين سقطوا أو كل الذين هلكوا، كانوا خارج الكنيسة أو خارج الخدمة. فالكتاب المقدس وتاريخ الكنيسة يسجلان لنا كثيراً من القصص والأحداث عن أشخاص ضاعوا وبعضهم هلكوا، وهم داخل الكنيسة وداخل الخدمة .

أمثلة :

★ لنأخذ مثلاً : ديماس مساعد بولس الرسول .

أو شريكه فى الخدمة ، الذى كان يذكره فى رسائله (كو ٤ : ١٤)، وفى إحدى المرات ذكره قبل لوقا البشير (فل ٢٤). ديماس هذا زميل مرقس وأرسترخس، الذى لاشك أن العديدين آمنوا على يديه... هذا إنتهت حياته الروحية بمأساة، يشرحها القديس بولس بقوله " ديماس تركنى، إذ أحب العالم الحاضر " (٢تى ٤ : ١٠). وقيل عنه فى بعض أخبار التاريخ إنه إرتد وصار وثنياً !!

★ وليس ديماس وحده ، بل هناك آخرون قال عنهم القديس :

" لأن كثيرين ممن كنت أذكرهم لكم مراراً، والآن أذكرهم
بأشياء وهم أعداء صليب المسيح " (في ٣ : ١٨) .

ويشرح الرسول مأساة هؤلاء فيقول " الذين نهايتهم الهلاك،
الذين إلههم بطنهم، ومجدهم في خزيمهم، الذين يفتكرون في
الأرضيات " (في ٣ : ١٩) . أليس كل أولئك درساً لجميع الخدام لكي
يحترسوا جيداً ، ويتذكروا قول الرسول :

" إن من يظن أنه قائم ، فليُنظر أن لا يسقط " (١كو ١٠ : ١٢) .
السقوط ممكن ، حتى لخدام كانوا جبابرة ...

وأمنتهم بعض ملائكة الكنائس السبع ، الذين أرسل لهم الرب
رسائل على يد القديس يوحنا الرسول . أولهم راعي كنيسة أفسس
الذي قال له الرب " أنا عارف أعمالك وتعبك وصبرك .. وقد
اجتمعت واثق صبر ، وتعبت من أجل إسمي ولم تكل " (رؤ ٢ : ٢ ، ٣)
ومع ذلك فإنه ترك محبته الأولى . وقال له الرب " اذكر من أين
سقطت وتب .. وإلا فإنني آتيك عن قريب ، وأزحزح منارتك من
مكانها، إن لم تتب " (رؤ ٢ : ٥) . ما أرهب هذا الكلام ...

ولكن أخطر منه وأصعب ، ما قيل لملاك كنيسة ساردس :
" أنا عارف أعمالك أن لك إسماً لك حي ، وأنت ميت " (رؤ ٣ : ١) .
ومع ذلك كان خادماً ، ودعى ملاكاً ، وكان واحداً من السبعة

الكواكب التى كانت فى يمين الرب (رؤ ١ : ٢٠) . والرب يدعو إلى التوبة وينذره (رؤ ٣ : ٣) .

ومثله ملاك كنيسة لاودكية الذى قال له الرب : " لأنك فاتر ، ولست بارداً ولا حاراً ، أنا مزعج أن أتقيأك من فمي " (رؤ ٣ : ١٦) .
★ ومن أمثلة الذين ضاعوا فى الخدمة على الكاهن وأولاده .
كان كاهناً للرب ، واستمر فى كهنوته إلى أن شاخ وضعفت عيناه . ولكن لأنه لم يرب أولاده ، ولما انتهرهم لم يفعل ذلك بحزم .. لذلك قطعه الله ، وأما ابنه فى يوم واحد (اصم ٢ : ٣١ ، ٣٤) . بل قال الرب " أقسمت لبيت على أنه لا يكفر عن شر بيت على بذبيحة أو بتقدمة إلى الأبد " (اصم ٣ : ١٤) .. وسقط على الكاهن عن كرسيه فانكسرت رقبته ومات . وكان قد قضى لإسرائيل أربعين سنة " (اصم ٤ : ١٨) .. هلك الشيخ مع أولاده ، وهم فى الخدمة ! .

★ هلاك آخر كان لشاول الملك ، مسيح الرب .

أرسل له الرب صموئيل النبى ، فمسحه بالدهن المقدس ملكاً لشعبه ، وحلّ عليه روح الرب فتنبأ ، حتى قال الشعب " أشاول أيضاً بين الأنبياء " (اصم ١٠ : ١١) .. ولكن كيف إنتهت حياة مسيح الرب هذا ؟! لقد أخطأ إلى الله ، فنزع روحه منه . وقيل فى

ذلك " وذهب روح الرب من عند شاول . وبغته روح ردي من قبل الرب " (اصم ١٦ : ١٤) ... ومات شاول هالكاً ...

★ أيضاً الكتبة والفريسيون هم مثال آخر لهلاك خدام وهم في محيط الخدمة ...

كانوا معلمى الشعب فى أيامهم ، وأكثر الناس تشدداً فى حفظ الناموس ومعرفته ، وقد قال عنهم الرب فى ذلك " على كرسى موسى جلس الكتبة والفريسيون .. " (مت ٢٣ : ٢) . ومع ذلك هلكوا وهم فى خدمتهم . وأغلقوا ملكوت السموات قدام الناس ، فلا هم دخلوا ولا تركوا الداخلين يدخلون وسماهم الرب " قادة عميان " (مت ٢٣ : ١٣ ، ١٦) ...

وقال لهم " أيها الحيات أولاد الأفاعى ، كيف تهربون من دينونة جهنم ؟ " (مت ٢٣ : ٣٣) ... ومع ذلك كانوا خداماً ومعلمين وقادة الخدمة والتعليم فى أيامهم !!

★ وكذلك أيضاً كان الكهنة فى ذلك الجيل .

أولئك الذين سماهم المسيح " الكرامين الأرياء " وقال لهم " إن ملكوت الله ينزع منكم ، ويعطى لأمة تعمل أثماره " (مت ٢١ : ٤٣) . هؤلاء الكهنة ورؤساؤهم هم الذين حاكموا المسيح وأدانوه !! ووقفوا أمام بيلاطس يشكون عليه (مت ٢٧ : ١٢) ويصيحون

طالبين صلبه (لوقا ٢٣ : ٢٣) . وهم الذين قاوموا القيامة ، ودفعوا رشوة للعسكر ليقولوا إن تلاميذ المسيح سرقوا الجسد (مت ٢٨ : ١٣) . كما كانوا هم الذين دفعوا الثلاثين من الفضة ليهودا ليسلم سيده (مت ٢٦ : ١٤ ، ١٥) .

وهلك أولئك الكهنة ، وكانوا خداماً للرب، بل رسلاً للرب الجنود، ومن أفواههم تطلب الشريعة (ملا ٢ : ٧) !!

★ مثال آخر ، هو الإبن الكبير في قصة الإبن الضال :

الإبن الصغير كان يمثل الذين ضلوا بالذهاب إلى كورة بعيدة، وانفصلوا عن بيت الأب ، أما أخوه الأكبر فكان يمثل الذين ضلوا وهم في الخدمة. بدليل قوله لأبيه " ها أنا أخدمك سنين هذا عددها، وقط لم أتجاوز وصيتك" (لوقا ١٥ : ٢٩). ومع ذلك كان ضائعاً وساقطاً وهو في محيط الخدمة على الرغم من تلك السنين العديدة ! ما كان محباً لأخيه العائد، بل غضب لإكرامه ورفض أن يدخل البيت ويشترك في فرح الأسرة به .

كذلك لم يكن مؤدباً في حديثه مع أبيه . واتهم أباه بالبخل في قوله " وقط لم تعطني جدياً لأفرح مع أصدقائي" (لوقا ١٥ : ٢٩)، واتهمه بعدم العدل في معاملة أولاده ، ولام أباه على إكرامه إبنه العائد. ولم تكن مشيئته متفقة أبداً مع مشيئة الأب .

ومع ذلك كان خادماً له في الخدمة سنون هذا عددها !!

★ الذين يهلكون وهم داخل الخدية، يذكروننا بإبنة يابرس التي ماتت وهي في بيت أبيها (لو ٨: ٤٩ - ٥٢) .
وتختلف عن اين أرملة ناين الذي كان في نعش في الطريق (لو ٧: ١٢) وعن لعازر الذي كان في قبر وعليه حجر (يو ١١: ٣٨) .

★ آدم أيضاً وحواء سقطا وهما في الجنة .

★ لعل يهوذا الأسخريوطي هو أسوأ مثال بشري لمن هلكوا وهم في الخدمة .

كان واحداً من الإثني عشر (مت ١٠: ٤) . والسيد المسيح هو الذي اختاره ضمن الباقين . بل ميزه عنهم بأن عهد إليه بأمانة الصندوق، وبالاتفاق على الفقراء، والدليل على ذلك أنه لما قال له الرب موبخاً في يوم خميس العهد " ما أنت تعمله فاعمله بأقصى سرعة " ظن البعض " إذ كان الصندوق مع يهوذا .. أن يسوع قال له إشتري ما نحتاج إليه للعيد، أو أن يعطى شيئاً للفقراء " (يو ١٣: ٢٧، ٢٩) .

ولعل يهوذا اشترك في الخدمة التدريبية الأولى (مت ١٠)، وأخذ مع الرسل بعض المواهب (مت ١٠: ١) ... وعلى الرغم من كل

ذلك هلك يهوذا .

★ من الدروس النافعة أيضاً في الخدمة : هلك نبي معروف هو [بلعام] .

كان رجلاً " مفتوح العينين ... يسمع أقوال الله، ويعرف معرفة العلى .. يرى رؤيا القدير، وهو مكشوف العينين " (عد ٢٤ : ١٥، ١٦) وهو الذى تنبأ عن السيد المسيح وقال "أراه وليس الآن . أبصره ولكن ليس قريباً . يبرز كوكب من يعقوب، ويقوم قضيب من إسرائيل، فيحطم طرفى موآب" (عد ٢٤ : ١٧) .

وهو الذى ظهر له ملاك الرب ، وكلمه الرب أكثر من مرة . وقيل فى ذلك " فوافى الله بلعام .. ووضع الرب كلاماً فى فم بلعام، وقال أرجع إلى بالاق وقل هكذا " (عد ٢٣ : ٤، ٥) (عد ٢٣ : ١٦) . أما بلعام فقال لبالاق ولعبيده قبل ذلك : "ولو أعطانى بالاق ملء بيته فضة وذهباً ، لا أقدر أن أتجاوز قول الرب لأعمل خيراً أو شراً من نفسى . الذى يتكلمه الرب إياه أتكلم " (عد ٢٤ : ١٣) (عد ٢٢ : ١٨) .

وقيل " فكان عليه روح الله ، فنطق بمثله " (عد ٢٤ : ٢، ٣) . وقبل أن يتكلم كان يبنى سبعة مذابح، ويقدم محرقات : سبعة ثيران وسبعة كباش (عد ٢٣ : ١، ٢) (عد ٢٣ : ٢٩، ٣٠) .

وعلى الرغم من النبوءات والمحرقات والرؤى وحلول روح الله عليه، هلك بلعام ، وألقى معثرة أمام بني إسرائيل .. " (رؤ ٢ : ١٤) .
وتحدث الكتاب عن "ضلالة بلعام" (يه ١١) ...

وقيل " إنه أحب أجرة الإثم " (٢بط ٢ : ١٥) .

★ ولعل من أمثلة السقوط - وليس الهلاك - هارون أخو موسى :

هذا الذى كان رئيساً للكهنة ، ومسحه موسى النبى بالزيت المقدس حسب أمر الرب (خر ٤٠ : ١٣، ١٦) (لا ٨٧ : ١٢) ... هارون هذا هو الذى صنع لبني اسرائيل العجل الذهبى الذى عبده!!

" فقال لهم هرون : أنزعوا أقراط الذهب التى فى آذان نسائكم وبنيتكم وبناتكم وأتوني بها.. فأخذ ذلك من أيديهم ، وصوره بالإزميل وصنعه عجلاً مسبوكاً ... فلما نظر هرون ، بنى مذبحاً أمامه . ونادى هرون وقال : غداً عيد للرب . فبكروا فى الغد وأصعدوا محرقات وقدموا ذبائح سلامة " (خر ٣٢ : ٢-٦) .

ولما أنتهره موسى بعد نزوله من الجبل أجاب " انت تعرف الشعب أنه فى شر . فقالوا لى اصنع لنا آلهة تسير أمامنا .. " (خر ٣٢ : ٢٢-٢٤) .. وهكذا سقط هذا الكاهن العظيم سقطة عظيمة . وسقط مرة أخرى حينما تكلم هو ومريم ضد موسى النبى

(عد ١٢ : ١) فوبخهما الرب . وضرب مريم النبية بالبرص
(عد ١٢ : ٤-١٠) .

وكانت مريم هذه هى التى قادت النساء فى تسبيح الرب بعد
عبور البحر الأحمر ، والدف بيدها (خر ١٥ : ٢٠) .

وهى التى رتلت تلك الترنيمة الجميلة " سبحوا للرب فإنه قد
تعظم . الفرس وراكبه طرحهما فى البحر " (خر ١٥ : ٢١) .

ومع ذلك فهذه النبية العظيمة ضربها الرب بالبرص ، ولم يسمع
شفاعة موسى فيها ، إلا بعد أن طرحت خارج المحلة سبعة أيام
(عد ١٢ : ١٣-١٥) .

ننتقل بعد هذا من أحداث الكتاب المقدس إلى التاريخ ..
تاريخ الكنيسة يحكى لنا أيضاً أمثلة من الذين هلكوا وهم فى
الخدمة . وبعضهم وصلوا إلى قمم عالية فى الخدمة :
ومن أمثلة ذلك بعض الهرطقة الذين قد حرمتهم الكنيسة ،
وكانوا من الخدام البارزين فيها :

مثال ذلك : أريوس الذي كان أعظم واعظ فى الأسكندرية . وقد
هلك بسبب إنحرافه فى التعليم ، وهو واعظ يخدم ، وهو قس فى
الكنيسة الكبرى بالأسكندرية . وقد استمر فى عناده وهرطقته ،
فحرمه مجمع نيقية المقدس .

ومثل آريوس ، نتحدث أيضاً عن نسطور ومقدونيوس
بطريركي الكرسي العظيم في القسطنطينية

كان كل منهما في جيله في قمة الخدمة في كنيسة .. ووقع كل
منهما في هرطقة وهلك . مقدونيوس حكم عليه المجمع المسكوني
الثاني المنعقد في القسطنطينية سنة ٣٨١م . ونسطور حكم عليه
المجمع المسكوني الثالث المنعقد في أفسس سنة ٤٣١م . وماتاً
محرومين هالكين ، وقد كانا على رأس كنيسة كبيرة وفي قمة خدمتها .
وبنفس الوضع تقريباً نتكلم عن هلاك أوطاخي وكان أباً
روحانياً كبيراً على رأس دير في القسطنطينية !

وضاعت كل خدمته السابقة في رعاية دير كبير ، وحرمة
الكنيسة ، فضاعت حياته الروحية أيضاً ، إذ وقع كذلك في هرطقة.
إن كان الأمر كذلك مع كل أولئك الجبابرة في الخدمة ،
فليحترس إذن كل خادم . وليضع أمامه قول القديس بولس الرسول
لتلميذه تيموثاوس " لاحظ نفسك والتعليم ، وداوم على ذلك . فإنك
إن فعلت هذا تخلص نفسك والذين يسمعونك أيضاً " (١٦ : ٤).

فهرست الكتاب

صفحة

٥ مقدمة
٨ لكل كائن رسالة
١٦ الآخرون في حياتك
٢٢ التشجيع
٣٧ رابع النفوس حكيم (أ)
٥٢ رابع النفوس حكيم (ب)
٦٧ العمل الإيجابي البناء
٧٩ العمل الفردي (أ)
٨٩ العمل الفردي (ب)
٩٩ لاحظ نفسك والتعليم
١١٥ الدموع في الخدمة
١٢٤ الجدية في الخدمة
١٢٨ الخدمة والفتور
١٣٣ كثيرون سقطوا وبعضهم هلكوا

فصل الكتاب

بسم الاب والابن والروح القدس
الإله الواحد أمين

في الكتابين السابقين من
مجموعة " الخدمة للخدمة
والخدمة للخدمة " قدمنا لك ١٨
موضوعاً في الخدمة .

وفي هذا الكتاب نقدم لك
١٢ موضوعاً ، منها ثلاثة
موضوعات كبيرة هي :
أ - العمل الفردي .

ب - رابع النفوس حكيم .

ج - لاحظ نفسك والتعليم .

ونحنك أيضاً عن العمل

الإيجابي ، والخدمة في الخدمة ،

والتموع في الخدمة ، ورؤيتك ،

في الحياة .. كما تمنحك عن

الخدمة والنفوس ، والذين سقطوا

أو هلكوا ، وهم في مجال الخدمة .

إلى اللقاء في الكتاب

الرابع عن " كيف نخدم ؟ " .

لها شهوده الثالث